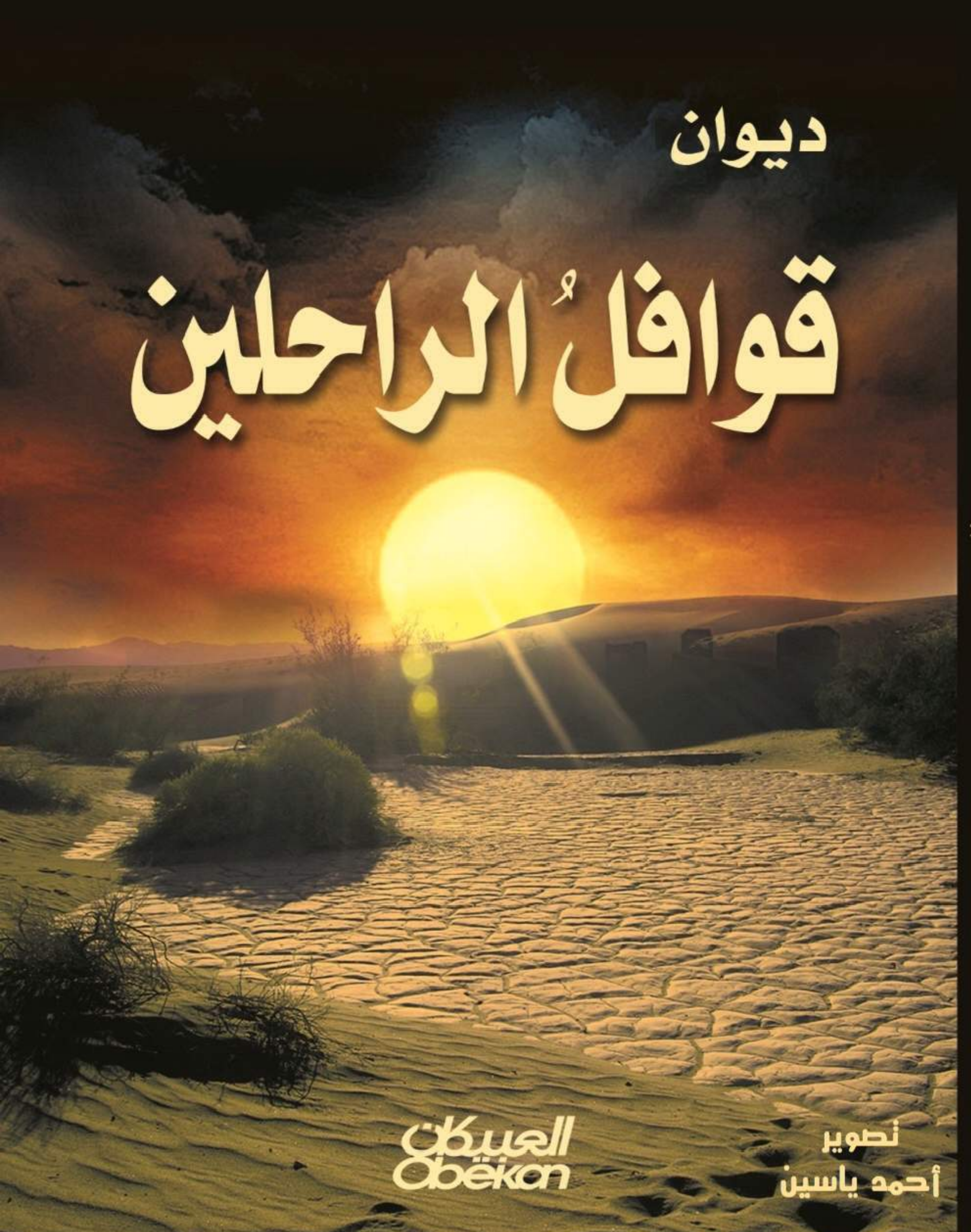
د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ديوان

قوافلُ الراحلين



د. عبد الرحمن صالح العشماوي
ديوان قوافلُ الراحلين
العبيكان

ديوان

قوافل الراحلين

شعر

د. عبد الرحمن صالح العشماوي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن بن صالح

ديوان قوافل الراحلين./ عبدالرحمن بن صالح العشماوي . - الرياض، ١٤٢٨هـ

١٧٨ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

ديوي ٨١١، ٩٥٣١ ١٤٢٨/ ٢١٥٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/ ٢١٥٠

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥



فراقُكَ لا يهون

الرياض ١٤/٢/١٤٢٥هـ

«رحل الصديق عبد القادر طاش عن الدنيا، وهل يهون رحيل صديقٍ عن صديق؟»

إلى أين اتجاهُكَ يا دليلُ
كأنك لستَ تفهَمُ ما أقولُ

أراكَ إلى اليسار تُغِذُّ سَيْراً
وعن يُمْناكَ تزدهر الحقولُ

لماذا ترتدي ليلاً بَهيماً
وفي أعماقك الفجرُ الجميلُ؟!

لماذا يا دليلُ سلكْتَ درباً
يطيب لغير سالِكه الوصولُ؟!

أراك تُجمِّد الإحساسَ حتى
تنكَّر صاحبٌ وجَفا خليلُ

هجرتُك قاصداً ومضيتُ وحدي
وبعضُ البحرِ محمودٌ جميلُ

ألستَ ترى الأحبَّةَ حين غابوا
وجدَّ بهم عن الدنيا الرَّحيلُ؟
مضوا عن هذه الدنيا سِراعاً
فما فيها للقياهم سبيلُ
تبعِّدني مطايا الحزنِ عنهم
كما ابتعد الصَّدَى عمَّا نقولُ
وتُدنيني خيولُ الصَّبرِ منهم
وكم تُدني من الحُلُم الخيولُ
وما زلنا نرى في كل حينٍ
لنا قَمَراً يغيِّبه الأُفولُ
نَعى النَّاعي أخاً بَرّاً كريماً
فَوَرْقَاءُ الوَداعِ لها هَديلُ
بكفِّكَ أيُّها النَّاعي حُسامٌ
وَرُمْحٌ من جَوانحنا بَلِيْلُ
أتحسَبُني نسيتُ شَغافَ قلبي
ونارُ الشَّوقِ ليس لها مَثيلُ؟!
نَعَيْتَ أخاً إذا ذُكِرَ التآخي
فَصِدْقُ إخائه الطَّرَفُ الأصيلُ

أعـبـدَ القـادرِ اضطربَتْ حـروفي

وسـمَّـر عينَ قـافـيـتي الذُّهولُ

وألْـزمَنـي التـوجُّسُ بابَ صـمـتي

فـصـمـتي مـثلَ آلامي ثقـيلُ

وثارتْ زَفـرةٌ من بعـد أُخـرى

ومـدَّ حـبـالَه الليلُ الطويلُ

لكَ الخلُقُ النَّبـيلُ به شـهـدنا

وكم سـيـسـرُّك الخُلُقُ النَّبـيلُ

أرى أرقـامَ هـاتفكَ اسـتـحـالتْ

سـيـوفـاً في دمي منهـا صَليلُ

تُذكِّـرُ حـينمـا أرنو إليـهـا

بأنَّ سَـمـاع صـوتكَ مـسـتـحـيلُ

أعـبـدَ القـادرِ، الدنيـا غُـثـاءٌ

تُبـعِّـدُه عن المجـرى السُّـيـولُ

فـلا جَـزَعٌ على مـا فـات منهـا

أيجـزَعُ مَنْ بخـالقـه يَصُـولُ

ومـا نَفْعُ الغـثـاءِ، إذا دعـانا

إلى النَّبْع النقيِّ السَّلْسـبـيلُ؟

أخي وأخا الوفاءِ يَسُرُّ قلبي
وفاءٌ عن وفائك لا يَميلُ

ويرفعني الرِّضا بقضاءِ ربي
فما لي عن ذُؤابته نُزولُ

فراقُكَ لا يَهونُ على محبٍّ
رأى أطيافَ صاحبه تزولُ

ولولا الصَّبر ما سارتْ خُطانا
ولا طابَ المبيتُ ولا المقيلُ

ولا احتملتْ مواجعَها قلوبٌ
ولا ابتهجتْ بحكمتها عقولُ

أخي وأخا الحروفِ البيضِ إنّا
وإن كانت مدامعُنا تَسيلُ

لَنَحْتَسِبُ الأحبَّةَ عند ربٍّ
جميعُ الكائنات له تَؤُولُ

لنا في رحمةِ المولى رجاءٌ
به في كلِّ ناحيةٍ نَجُولُ

ماتَ ابنُ بازٍ.....؟

الرياض ١٤٢٠/١/٢٩هـ

للشـعـر بعـدَكَ أنْ يظلَّ حـزينا
ولنبضِ قلبي أن يذوب حنينا
ولكلِّ قافيةٍ خَبَأْتَ حروفَها
أنْ تفتح البابَ الذي يُشجينا
ولصوتِ حادي الشعر بعدك أَنْ يرى
منا الوفاءَ لأنَّه يَحدونا
يا وارثاً للأنبياءِ، وإنما
ورث الهدى والعلمَ والتمكينا
ورِث العقيدةَ وهي أعظم ثروةٍ
وأعزُّ مالِ مورِّثٍ يُغنينا
يا راحلاً عنا كأنك لم تكنْ
فينا تحدِّثنا بما يُنجينا
لمَّا نعاكَ إليَّ صوتُ مُحدِّثي
أحْسَسْتُ أنَّ الشكَّ صار يقينا

ورأيتُ أَثْبَتَ مـــا أمـــامي دائراً
وســمـعتُ أصـواتَ الشُّـداةِ طَنينا
وشعرتُ أن الحزن صار يحيط بي
من كلِّ ناحـيـــةٍ، وصــرتُ رهينا
هل يدرك النَّاعي حقيقةَ مَنْ نَعَى
وبأيِّ ســهمٍ في الفـؤاد رُمــينا؟
وبأيِّ فــاجــعــةٍ أُصــيبتْ أُمَّـتي
وبأيِّ أصناف البـــــلاءِ بُلينا؟
يا أيُّهـــا الناعي جَـــرَحْتَ قلوبَنا
وأَثَرْتَ فـــيـــهــا لوعـــةً وأنينا
مــاتَ ابنُ بازٍ، يا لَهــا من أحــرفٍ
وهَّاجـــةٍ بلهـــيـــبــهنَّ صُلينا
مـات ابنُ بازٍ، هل علمتَ بما حوتْ
هذي الحـروفُ ومـا تُحـرِّك فينا؟!
يا أيُّهـــا النَّاعي رويدَكَ، إنَّ مَنْ
تنعي، أبٌ بحنانه يَســـقـــينا
أوَلم يكن نوراً يضـيءُ عــقـــولَنا
وإلى الهـدايةِ والتُّـقَى يدعـونا؟!

أتُراكَ لم تعلمْ بأنَّ وفاتَه
رُزْءٌ وأنَّ وداعَه يُشقينا؟!
أنسيتَ أنَّ وفاةَ عالمِ أُمَّةٍ
حَدَثٌ بأسهُمِ بُؤْسِه يرمينا؟

❖ ❖ ❖

يا خادمَ الحرمين شكراً صادقاً
فلقد رأينا كلَّ ما يُرضينا
أسرجتَ خيلاً للوفاءِ كريمةً
ما زال لحنُ صَهيلها يُغرينا
شيَّعْتَ عالِمَنا الجليلَ وإنما
شيَّعْتَ عقلاً راجحاً ورزينا
شيَّعْتَ في يوم الفضيلةِ والتُّقىَ
شيخاً بنى للمكرماتِ حصونا
لَمَّا تقدَّمْتَ الجموعَ مودِّعاً
رفع التلاحمُ والوفاءُ جبينا
ورسَمْتَ للأجيالِ أجملَ صورةٍ
ستظلُّ من أمجادنا تُدنينا

كـرَّمتَ فـيـهـا العلمَ، علمَ شـريعـةٍ

تمحـو الضَّـلالَ وتُرشـد الغـاوينا

فلْتَشهـدِ الدنيا حقيقةَ مـا جرى

إنَّ الحـقـائقَ تَهـزم التَّـخـمـينا

لكأنني بوفـاةِ شـيخِ شـيـوخنا

صـارتْ مـثـالاً للوفـاءِ مُـبـينا

خـرجتْ جـموعُ المسلمين فـلا تسلْ

عن مـشـهـدٍ جـعل الشِّـمـالَ يمينا

في مسـجد الله الحـرام، وهل رأتْ

عـينٌ مكانـاً مِـثْلَه مـأمـونا

لَمَّا تلاقى المسلمـون هنـاك في

أزكى وأطهـرِ بُقـعـةٍ باكـينا

وتزاحـمتْ أفـواجُـهم، وكـأنهم

يَردون حـوضـاً منه يَسـتسـقونا

شـهـدتْ بقـاعُ الأرض صـورةَ أُمَّـةٍ

لا ترتضي غَـيْـرَ الشـريعـةِ دينا

هـو دينُنـا نَبْعُ الفـضـائل تَرتوي

منـه القلوبُ ومـاؤه يَشـفـينا

وبـه يغـــــــرِّد طـائـر الأمـن الـذي
من كلِّ بَغْيٍ مكابرٍ يَحـــمـــينا
وبه نخـــوض مـــحــيطَ كلِّ رزيَّةٍ
فـهـو السَّـفينُ لمن يريد سَـفـينا
يا شـــيــخَنَا ودَّعْــتَنا، وقلوبُنا
تُهـــدي إليكَ من الوفـــاءِ فُنونا
ودَّعْتَ دنيـانا بجـسـمكَ بعـدمـا
ودَّعـــتَـــهـــا بالقلب منكَ سنينا
وزهدْتَ فــيــهـــا وهي ذاتُ تبــرُّجٍ
جـعلتْ مُـحِبَّ دَلالهـا مَـفْـتـونا
عـــزَّيتُ فـــيكَ وُلاةَ أمـــرِ بلادنا
ورجــــالَهـــا وبَناتِهـــا وبَنينا
عـزَّيتُ فـيك العلمَ والعلمـاءَ قـد
منحـوك حُـبـاً في القلوب ثمـينا
عـزَّيتُ فـيك المسلمين جـمـيـعَهم
فـقـدوا بفـقـدِكَ مُـرشـداً ومُـعينا
يا ربِّ لُطْفَك صـار فَيْضُ جـراحنا
نَهْـراً من الدَّمع الغـزيرِ سـخـينا

إنا برغم الحـــزنِ نَحــزم أمـــرَنا

بكَ يا عظيمَ الشـــان يا هادينا

إنا إليكَ لـراجــــعـــــون، وإننـا

بقضاءِ عدلك في العبادِ رَضينا

إنْ مـــاتَ عـــالِمُنا فــإنا لم نَزَلْ

فـــيـــمـــا تعُـــوِّضُنا به راجــينا

سَلِمَتْ بلادُ الخـيـرِ من آلامـهـــا

ورعى المهـيـمنُ حظَّهـا المَيْـمُـونا



رحلةٌ بين بوّابتين

الطائف ١٢/٥/١٤٢٠هـ

توقيع شعري على ورقة الوداع

يـا رحلـةَ الأيـام، وَقْـعُ خُـطـانـا
لغـةٌ تُحـدِّثنا بعـمق أسـانا

بَيْنَا طلوعُ الشـمس ينشـر نُورَها
فـينا، إذا بغـروبهـا يغـشـانا

وكـأنهـا لم تُبْـدِ صفـحـةَ وجـهـها
للنـاظرين، وتمـلأ الأجـفـانا

من أين أبدأ وَصْفَ مـا يجـري لنا
والوصفُ يعـجـز أنْ ينال مَـدَانا

مـيـلادُنا بابُ الدُّخـولِ، ومـوتُنا
بابُ الخـروجِ بنا إلى أُخـرانا

بوَّابتـان تقـرِّبان فـراقنا
وتبـعِّـدانِ مُـرادَنا ومُـنانا

وعليهـمـا خـفـقَتْ شَـغَـافُ قلوبنا
أمـلاً وخـوفـاً يُشـعل الخَـفَـقَـانا

بوَّابتـــــان، غُـــــدوُّنا، ورَواحُـنـا
مـــا زال بينهـــمـــا يهـــزُّ رُؤانـا

أُولاهـمـا تُثْـري ابتـهـاجَ قلوبنا
وتثـــور من أُخـــراهمـــا شكوانا

والموتُ بينهـــمـــا يمدُّ حـــبـــالَه
ويُحـــــرِّك الآلامَ والأشـــجـــانا

ويُفـــرِّق الأحـــبـــابَ بعـــد تجـمُّعٍ
ويُشَـتِّت الأصـحـاب والأخـدانا

ويُجـــرِّد الأغـصـانَ من أوراقـهـا
إنَّ الخـــريف يُجـــرِّد الأغـصـانا

قـالـت مُـحـدثتي: أراك تثيـرني
بحـروف شـعـرك، تُلْهِبُ الوجـدانا

فكأن أحـــرفك التي تشـــدو بهـا
لا تعـــــرف الألحـــــان والأوزانا

مـا لي أراها كـالسِّـهام تصـيـبني
في القلب، تشعل في دمي النيـرانا

فـأجـبـتـهـا: لا تعـذليني، إنني
واجـــهتُ من لهب الأسـى بركـانا

ورأيت من عبـر الحـيـاةِ ووعظهـا
مـا لـو رأى الحـجـر الأصمُّ لَلاَنـا

أوَمـا تـرين المـوتَ يرسم بينـنـا
صُـوَراً تغـذّي جـرحَنا وأسـانـا

ويظلُّ يحـمل كلَّ يومٍ صـاحـبـاً
كُنَّـا نـراه عـلـى الـرِّضـى ويـرانـا

فكأنه مـا مـدَّ كفَّ مُـصـافحٍ
يوم اللقـاءِ، وعـانقَ الإخـوانـا

للمـوت عينٌ يا مُـحـدِّثتي ترى
مـا لا يراه النـاسُ من دنيـانـا

هـو لا يفـرِّق بين شـيخٍ أو فـتـىً
أبداً، ولا يتـخـيَّـر الألوانـا

تمضي بنـا نحـو المَعـاد ركـابُه
لنرى الصـراط هناك والميـزانـا

فكبـيـرنـا كـصـغـيـرنـا، وغنيُّنا
كـفـقـيـرنـا، والموت لا ينسـانـا

والآلـةُ الحَـدْباءُ عَـرْشُ رحـيـلنـا
واللَّحْـدُ في عُـمْق الثـرى مـثـوانـا

لا تعـجـبـي، إنْ قلتُ إِنَّ قـصـيـدتي
تبكي ويبـقى طرفُـهـا سـهـرانا

فـقـصـيـدتي منِّي؛ تُعـاني كلَّما
تعب الفـؤاد من الأنين وعـانى

وإذا شَـدَوْتُ شـدتْ، وتبكي حينما
أبكي، وأُطْلق للجـفـون عنانا

مـا بينَ جُـمْلَةِ «يحفظُ اللهُ الفتى»
فـينا «ويرحـمُـه» نَرَى البـرهانا

كلُّ العناوين انْمَـحَتْ لمَّا غـدا
صَـمْتُ المقـابر للفـتى عنوانا

وتوقـفتْ عنه الرسـائلُ كلُّهـا
إلا رسـائل مَنْ دعـا الرَّحـمـانا

إنَّ الدعـاء رسـالةٌ مـوصـولةٌ
تُهـدي لمن بُعِـثَتْ إليـه أمـانا

وإذا توجَّـهت القلوبُ لربِّهـا
وجـدتْ برغم جـراحـهـا اطمئنانا

مـات ابن آدمَ، يا لهـا من عِـبْـرةٍ
تُحـيـي القلوبَ، وتوقظ الأذهانا

حـملتْـه أيدي مَنْ يحبُّ إلى الثـرى
من بعـد أنْ نَسَـجتْ له الأكـفـانا
ومـضـوا سِـراعـاً يَلْهَـثـون لدفنه
فـالموتُ صـيَّـر دفنَه إحـسـانا
لـو قـيل للمـتـعلِّقين بحـبِّـه
هيَّـا ادخلوا في قـبـره عِـرْفَـانا
لتغيَّـرتْ قَـسَمـاتُهم واستـفظعوا
هـذا الحـديثَ، وأعلنوا النُّكرانا
كـان الحنانَ عليـه قـربُ مكانه
واليـومَ صـار البـعـدُ عنه حنانا
مـات ابنُ آدمَ، فـالحـيـاة قـصـيـرةٌ
تَطوي بكفٍّ رحـيلهـا الأزمـانا
وتقـيم فـينا بالمصـائب واعظاً
أنْدَى وأبلغَ منطقـاً ولسـانا
مَنْ مـاتَ منَّا فـهـو سـابقُنا الذي
لقيَ النهـايةَ قـبل أنْ تلقـانا
أنهى عـبور الجسـر قبل عـبورنا
وطوى البـسـاطَ، وغـادر الميـدانا

ومــــضـى إلى ربٍّ كــــريم قــــادرٍ

يعطي الجــزيلَ، ويمنح الغـفــرانا

ويُقــيل عَــثْــرةَ مَنْ يلوذ ببــابه

مــتـعلِّقــاً، وينيلُه الإحــســانا

مـاتَ الفـقـيـر وفـقـرُه أُحـدوثةٌ

جــعلتْ له في الصــابرين مكانا

مــات الغنيُّ وللمــبــاهج حــولَه

زَهْوٌ يثــيــر ربيــعَــه الفَــيْنانا

لو صُدَّ موتٌ في الحياةِ عن امرئٍ

بالجــاهِ والعـيش الرغـيـدِ لَكانا

مـات الجـمـيعُ، وشـيَّعَـتْـهُم أعينٌ

تبكي، وأفــئــدةٌ تئنُّ حَــزَانى



لا تعـجـبي ـ يا من تعـاتبني ـ إذا

أبصــرتِ غـيثَ مـدامـعي هتَّـانا

فلقـد رأيتُ من الحـيـاةِ وبؤسـهـا

وعنائهــا مــا يُلْهِبُ الوجــدانا

كُـــرَةٌ من الثَّلْج اخـــتـــفتْ لمَّا بدا

وجـــهُ الصَّـــبـــاح وزادها لَمَعَـــانا

إنَّا لنقـــرأ في حكايةِ مـــوتنا

عِـــبَـــراً تُقـــرِّبُنا إلى مـــولانا

لغـــةُ المماتِ فصيحةٌ، لكِنَّما

لَهْـــوُ الحـــيـــاةِ، يُغلِّق الآذانا



على صدى الفاجعة

عزاءٌ ونداء:

أدِرْها على ما تشتهيه المسامعُ
قصائدَ، فيها للوفاء منابعُ
أدِرْها وسيِّرْ مركب الشعر، نحوَها
رسولاً يُعزِّي مَنْ دهتْه الفواجعُ
رسولاً أميناً طيِّب القلب صادقاً
يروِّح عمَّن أرَّقتْه المواجعُ
يُعزِّي، ويُهدي للحزين تحيَّةً
عسى الصَّبْرُ من بعد الأنين يُطاوعُ
عزاءً إلى مَنْ أشعل الرُّعْبُ ليلَه
وثارتْ بما لا يشتهيه الزَّوابعُ
إلى كلِّ قلبٍ لوَّعتْه جراحُه
إلى كلِّ عينٍ أغرقتْها المَدامعُ
إلى كلِّ طفلٍ ألجمَ الرُّعبُ نُطْقَه
رأى أُمَّه تحت الرُّكام تُنازعُ

إلى كلِّ أُمٍّ هاجم الموتُ طفلَها
وعانى خروجَ الرُّوح وهي تُطالعُ

إلى كلِّ ذي قلبٍ رأى مَنْ يحبُّه
يقاوم نيرانَ الأسى ويُصارعُ

إلى كلِّ ذي دارٍ رأى سَقْفَ داره
تهاوى، ومَنْ في الدَّار غافٍ وهاجعُ

عزاءً إلى مَنْ بات في الليل آمناً
وهزَّته في جُنح الظلام المصارعُ

فكم هوَّنتْ وقع المصاب عبارةٌ
كذاكَ عزاءُ الناس للناس نافعُ

أدِرْها قوافي الشعر، ربَّ قصيدةٍ
يقوم لها فجرٌ من الخير ساطعُ

أدِرْها، وقلْ للغافلين تنبَّهوا
فقد ترتدي ثوبَ الجفافِ المَرابعُ

وقلْ للذي يمشي على ماءِ وجهه
ومَنْ عقلُه بين الأباطيل ضائعُ

أترجو حياةً تستقرُّ بأمنها
وأنفُكَ مجدوعٌ، وسيفُكَ جادعُ؟!

إذا زُرِعَتْ أرضٌ بألغامِ غادرٍ
فمن أين يجني ما يُحبُّ المزارعُ؟!
ألستَ ترى حربَ البُغاةِ، تشنُّها
وجوهٌ، عليها من هواها براقعُ
يحرِّكها قومٌ، كأنَّ قلوبَهم
جلاميدُ صخرٍ، حولَهنَّ بَلاقعُ
ألستَ ترى حَرْبَ البُغاةِ بنارها
تلظَّتْ بيوتٌ هُدِّمت ومصانعُ؟!
وذاقت أساها في بلادٍ مساجدٌ
تهاوتْ على عُبَّادها، وصوامعُ
وماجتْ بما شنَّتْه، دُورُ رعايةٍ
وضاقت بأشلاء الضحايا الشوارعُ
أدِرْها، وقل للمستبدِّ برأيهِ
ومَن تتلظَّى في يديه الأصابعُ:
كأني بهذا العصر يشقى بنفسه
وقد صار في درب الضلال يُسارعُ
إذا نُقِلَتْ حربٌ إلى دارِ آمنٍ
فقائدُها الشيطان، والظلمُ دافعُ

وللحربِ ميدانٌ يخوضُ غِمارَها

شجاعٌ يلاقي المعتدي ويقارعُ

يصدُّ بها بغياً ويردع ظالماً

وعن دينه والعرض فيها يُدافعُ

فما لبيوت الناس والحرب، إنَّما

يشنُّ عليها الحربَ باغٍ وقاطعُ؟

وما البغي والتَّدمير إلاَّ جريمةٌ

تحرِّمها في العالَمين الشَرائعُ

أقول لمن صاغوا قوانين عصرنا:

أليسَ لها منكم نَصيرٌ وشافعُ

إذا صار مَنْ يرعى القوانينَ ظالماً

فَمِنْ أين تُجنَى للعباد المنافعُ



وقفة أمام عام الحزن

الرياض ١٤٢٠/٦/٢٧هـ

«دمعة شعرية على بوَّابة وداع «نجم الحديث النبوي» الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - يرحمه الله.»

لمن يتدفَّق النَّغَمُ
وماذا يكتب القَلَمُ؟!
ومَنْ ترثي قصائدُنا
وكيف يُصوِّر الألمُ؟
إذا كان الأسى لَهَباً
فقُلْ لي: كيف أبتسمُ؟
وقُلْ لي: كيف يحملني
إلى آفاقه الحُلُمُ؟
إذا كانتْ مَواجعُنا
كمثل النَّارِ تضطرمُ
فقُلْ لي: كيف أُطْفِئُها
وموجُ الحزن يَلْتَطِمُ؟!

أعـــامَ الحُـــزْنِ، قـــد كَـــثُـــرَتْ
عـــلـــيـــنـــا هـــذه الـــثُّـــلَـــمُ
كـــأنَّك قـــــد وعَـــــدْتَ المَـوْ
تَ وعـــــداً ليس ينفـــــصمُ
فـــأنتَ تَفي بوعــــدكَ، وهوَ يمضي ـ مـــســـرعـــاً ــ بِهِمُ
ألــســتَ تـرى رِكَـــــــابَ المـو
تِ بالأحــــبـــــاب تنصـــــرمُ؟!
ألستَ ترى حـــــصـــــونَ العلمِ ــ رَأْيَ العينِ ــ تنهــــدمُ؟
نـودِّع هـاهـنـا عَـلَـمـــــــاً
ويـــرحـــل مـــن هـــنـــا عَـــلَـــمُ
جـــهـــابذةُ العلوم مـــضـــوا
فـــــدمعُ العين ينســـــجمُ
مـــضـــوا ـ وجـــمـــيعُ مَنْ وردوا
مناهلَ علمـــهم ـ وَجَـــمـــوا
تـكـاد الآلـةُ الحَـــــــدْبَـا
ءُ، والأقــــــــدام تـزدحـمُ

تطيـــــر بهـم إلـى الأعلـى
وبـالجـــــوزاءِ تـلتـــــحـمُ
أكـــادُ أقـــول: إنَّ الشّـــعـــرَ
لــم يَـــسْـــلَـــمْ لـــه نَـــغَـــمُ
وإنَّ عـــقـــاربَ الســـاعـــا
تِ لـم يُـحْـــسَـبْ لهـــا رقـمُ
تشـــابهتِ البـــدايةُ والنهـــايــــــةُ واخـــتـــفتْ «إِرَمُ»
ونـفَّـــذ سَـــدُّ مَـــأْرِبَ كلَّ
مـــا نـادى بـه «العَـــرِمُ»
هـوى نجمُ الحـــديثِ كـــمـــا
هـوتْ مـن قـــبلـه قِـــمَـمُ
وكـــم رجـــلٍ تمـــوتُ بمـــو
تـهِ الأجـــيـــالُ والأُمَـمُ
أنـاصـــرَ سُنَّـة المخـــتـــا
رِ، دَرْبُـكَ قَـــصْـــدُهُ أَمَـمُ
رفـــعـــتَ لـواءَ سـنَّـتـنـا
ولـم تَـقْـــصُـــرْ بك الهِـــمَـمُ

قَضَيْتَ العمرَ في عملٍ
به الأوقاتُ تُغْتَنَمُ
خَدَمْتَ حديثَ خيرِ النَّا
سِ، لم تسأمْ كمن سئموا
حديثُ المصطفى شُرِحَتْ
به الآياتُ والحِكَمُ
فنحن بنور سنَّته
إلى القرآنِ نحتكمُ
خَدَمْتَ حديثَ خيرِ النَّا
سِ، لم تُنْصِتْ لمن وَهِمُوا
ولم تُشْغَلْ بما نثروا
من الأهواءِ أو نظموا
سَلِمْتَ بعلمكَ الصافي
من «البَلْوَى» وما سَلموا
غَنِمْتَ بما اتجهتَ له
ومَنْ نشروا الهدى غَنموا

ومَنْ جـــعل العُـــلا هَدَفـــاً
فلـن ينتـــــابَه السَّـــــأَمُ
أناصـــــــرَ سنَّـة الهـــــادي
ســـقـــاكَ الهـــاطلُ العَـــمَمُ
بكتْكَ الشَّــــامُ ــ وَيْحَ الشَّـــا
مِ ــ أخــــــفتْ بَدْرَها الظُّلَمُ
وخـــــيَّم فـــوق «أرْدُنِهـــــا»
ســحــابٌ، غَــيْـــثُــه الأَلمُ
بكتْ «ألبـــانيـــا» لعـــبتْ
بهـــا أحـــقـــادُ من ظلمـــوا
وعـــشَّش في مـــرابعـــهـــا
بُغـــــاثُ الطيـــــر والرَّخَمُ
بكاكَ المســـجـــدُ القُـــدْسيُّ
والمــدَنــيُّ، والحَــــــــــــرَمُ
بكتْكَ ســــــلاسلُ الكتبِ الّتي كــــــالدُّرِّ، تنتظمُ
فــــسلسلةُ الأحـــاديث التي صَـــحَّتْ لمن فـــهـــمـــوا

وسلسلةُ الأحاديثِ التي ضَعُفَتْ لمن وَهموا

وتحقيقُ الأسانيد التي
ثبتتْ لمن علموا

علومٌ كلُّها شَرَفٌ
تعزُّ بعزِّها القِيَمُ

أناصرَ سنَّةِ الهادي
لنا من دينِنا رَحِمُ

لقيتُكَ دونَ أن ألقا
كَ، تُورق بيننا الشِّيَمُ

لقيتُكَ في ظِلالِ العلمِ
والأزهارُ تبتسِمُ

تجمِّعنا محبَّةُ خيرِ
مَنْ سارتْ به قَدَمُ

خَدَمْتَ جَلال سنَّته
فيا طُوبى لمن خَدَموا

رحلْتَ رحيلَ مَنْ أخذوا
من الأمجادِ واقتسموا

كـــــأنَّك لم تُدرِ قلمـــــاً
ولم يُجْـــرِ الحـــــديثَ فَمُ

حـــزنًّا؟ كـيف لم نحـــزنْ
وشِـــــرْيانُ القلوبِ دَمُ

ولـكنَّا بـرغم الحـــــزنِ
لـم يـشـطـحْ بـنـا الـكَـلِـمُ

نعـــبِّـــر عن مَـــواجـــعنا
وبـالإسـلام نلتـــــزمُ

ولـولا أنَّ أَنْـفُـــسَـنا
بـربٍّ الكون تعـتــصمُ

لَمَاجَتْ بالأسى وغَـــدَتْ
أمـــام الحـــزن تنهـــزمُ



تلويحةُ وداعٍ لشيخ الهند

١٤٢٠هـ

«مع الدعاء بالمغفرة والرحمة لأبي الحسن الندوي»

قـوافي الشـعـر تخـتـصـر البـلادا

وتجـــتـــازُ المفـــاوزَ والوهـادا

تـزور الشـــام وهـي بـأرض نجـــدٍ

وتُسـرج نحـو بغـدادَ الجـوادا

تصـــافح باليـــمينِ رُبى دمـــشقٍ

وتمسك باليـد الأخـرى السَّـوادا

وفـي أرض الكنانـةِ للقـــوافـي

مـصـادرُ تمنح الحسَّ الجَـمـادا

مـن البــيتِ الحــرام تمدُّ كـفَّـاً

إلـى الأقـــصـى تبـــادلُه الوِدادا

وتشـــرب مـــاءَ زمـــزمَ ثم تمضي

وقـــد أخـــذتْ من القـــرآنِ زادا

تســافــر بي إلـى الآفــاق حــتـى

تقـــرِّبَ مــا شكا منهــا ابتـعــادا

يظلُّ تألُّقُ الأشـــواق فـــيـــهـــا

يبلِّغـــهـــا من الحُلُمِ المُرادا

قـوافي الشـعـر تغـسل راحـتـيـهـا

بماءِ النّـيـل تـســـأله المِدادا

وتجلـبُ من ربـوعِ الهـند عـــوداً

وتلقـى في خُــراســانَ امــتــدادا

قـوافي الشـعـر في دمـهـا حنينٌ

تـدفّـق مـن دمـي وإلـيَّ عـــــادا

أضـــأتُ بهـا دروبَ الوعي حـتـى

رأيتُ لهـمّـتي فـيـهـا اتّقـادا

عَـبَـرْتُ بهـا مـحـيطَ الهند لمَّا

رأيت وراءَه قـصـراً مُـشـادا

وأبصـرتُ المآذنَ شـامـخـاتٍ

تذكّـــر مَنْ تغـــافل أو تمادى

وتنشـر في سـمـاء الهند ذكـراً

وتسـبـيـحـاً تُرِيحُ به العـبـادا

وتُسـمـعني صـدى كلمـاتِ شـيخٍ

تُـذيـبُ عـنـادَ مَـنْ أبـدى الـعـنـادا

تحـــرِّكُ بالـهــدوء شــعــورَ فَظٍّ
فـيُـعلن بعـد شـدّته انقـيـادا
لمن هذا الحـديثُ يفـيضُ حُـبّـاً
وتسـتـهـوي بلاغـتُـه الفُـؤادا؟؟
لمن؟ فـأجـابني صـوتٌ حـزينٌ
يُخـافِـتُني ويرتعـد ارتعـادا
لقـد مـات المحـدِّث، قلتُ: مـاذا؟
فَـغَـمْـغَمَ بالكلامِ ومـا أعـادا
سَكَتٌّ سُكُوتَ من يخـشى جـواباً
يزيد حـبـالَ حـسـرته انعـقـادا
وأدركتُ الحـقـيـقـةَ، ربَّ صـمتٍ
ـ إذا مـا أُلْـجِمَ الراوي ـ أفـادا
مـضى بالشـيخ مـركـبُـه وولَّى
إلى الأُخـرى، وبلَّغـه المَعـادا
قـوافلُ مَنْ نحبُّ مـضت سِـراعـاً
وآثـرتِ التـنـقُّلَ والبُـعـادا
أشـيخَ الهندِ، هـذا عـامُ حـزنٍ
تَزَلْزَلَ فـيـه عـالَمنا ومـادا

تساوتْ فيه أشْهُرُنا فصرنا
نرى صفراً ونحسَبُه جُمادَى

تساقطت الكواكبُ فيه حتى
تشعَّبَ ليلُ حسرتنا وزادا

رُزِئْنَا، قبلَ موتكَ بابن بازٍ
وأجرى اللهُ فينا ما أرادا

وكان البَدْرَ حين هوى، تهاوتْ
كواكبُ علمنا، والحزن سادا

فأمسينا كما يُمسي جريحٌ
تطاول ليلُه وشكا السُّهَادا

سهرنا، كيف ترقد عينُ باكٍ
وموجُ الدَّمع يجتاح الرُّقادا؟

أشيخ الهند، ما ودَّعْتَ هنداً
ولا سُعدى، ولم تُثْكِلْ سعادا

لقد أثكلْتَ أُمَّتَنا، ولولا
عقيدتُها لأعلنتِ الحِدَادا

بكتْكَ لأنَّ سَعْيَكَ سَعْيُ شَهْمٍ
بحمل أمانةِ الإصلاح آدا

لأنَّـكَ يـا أبـا حـــــسـنٍ وفـيٌّ
زَرَعْتَ لهـا وأحـسنْتَ الحـصـادا
هـي الأفـعـالُ ترفع شـأن حُـرٍّ
إذا حَـسُنَتْ، وتمنحُـه اعـتـدادا
ولولا مـا رأى من صـدقِ عـزمٍ
مـعـاويةٌ، لما ولّـى زيادا
لقـد أعلنْتَـهـا والأرضُ حُـبْلَى
بباطلها الذي احتشد احتشادا
بأنَّ خـسـارةَ الدنيـا انحطاطٌ
لأهل الدين، أورثَهـا الكسـادا
وأشـعل في نواحـيـهـا لهـيـباً
من الشـهـواتِ عـوَّدها الفـسـادا
تجـاوزتَ المحـيطَ تبثُّ وَعْـيـاً
وتطردُ عن روابينا الجـرادا
وأدركْتَ الصِّـراعَ صـراعَ كـفـرٍ
وإيمانٍ، فـأطْلَقْتَ الجـيـادا
شَـدَدْتَ إلى الحـجـاز رحـالَ وَعْيٍ
قَـدَحْتَ به لهـمّـتنا الزِّنادا

وسرتَ إلى المدينةِ باشتياقٍ
فأسْلَسَ ركبُكَ الساري القيادا
نظرتَ إلى جزيرتنا بعينٍ
ترى فيها المنابع والمِهَادا
أشيخَ الهند ما سافرتَ إلاَّ
وقد أرسيْتَ في الهند العِمَادا
لندوتكم مشاعلُ من علومٍ
تُضيءُ بنور حكمتها البلادا
وتمنحكم علوماً نافعاتٍ
بها تَلْقَون مِن عَوَزٍ سِدَادا
تموج معابد الهندوس كفراً
تَزيد به ارتكاساً وارتدادا
وأنتم ترفعون شعارَ دينٍ
وتعتقدونَ منهجه اعتقادا
أشيخَ الهند، قد هبَّتْ رياحٌ
من الإيمان تمنحنا الرَّشادا
فتحتَ لها النوافذَ حين هبَّتْ
فما تركتْ غباراً أو رمادا

كـتـبتَ لنا فـمـا أرخـصتَ فكراً

ولا أخـفـيتَ مـعنىً مُـسـتـفـادا

وكنتَ أديبَنا فـي الهند تحـمـي

بحسنِ صياغـة الأسلوبِ «ضَادا»

تصـيَّـدتَ البـلاغـةَ من حِـمـاها

ومَنْ أبرى سِـهـامَ الوَعي صـادا

ومـا كلُّ الظِّبـاءِ إذا أُثيـرتْ

بأنغـام الهـوى تأتي تَهـادى

وفـرقٌ بين مَنْ صلَّى خـشـوعـاً

وإيماناً، ومَنْ صلَّى اعـتـيـادا

وَمَنْ كـتبَ الحـروفَ لنَشـر دينٍ

ونُصْـرتِه، فـقـد بلغ الجـهـادا

بذلتَ الجُـهْـدَ، ذلك طَبْعُ شَـهْمٍ

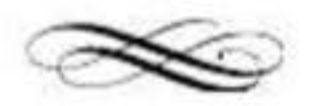
إذا بَخِلتْ نفـوسُ القـوم، جـادا

وليس على المجـاهد من سـبـيلٍ

إذا لم يدَّخـر فـينا اجـتـهـادا

ومــــا حَقُّ الذي يســـعى لخـــيـــرٍ
ويُعطي، أنْ يُحـــارَبَ أو يُعَـــادَى

ومَنْ جـــعل الكتـــابَ له مَـــعـــيناً
فلن يخـــشى لمنبـــعـــه نَفَـــادا



ضيوف الله

الخُبَر - الرياض ١٤-١٧/١٢/١٤٢٦هـ

رسالة عزاء ورجاء:

نعـــزِّي فـــيكم البلدَ الحـــرامـــا

وكــعــبــتَنا الشــريفــةَ والمقــامــا

نعــزِّي زمــزمَ البــركــاتِ فــيكم

وخَـيْفَ مِنَىً ومَنْ سكنوا الخـيـامـا

نعـــــزِّي كلَّ مـن لبَّـى وأجـــــرى

على البطحــاءِ أَدْمُــعَــه وهـامـا

نعــزِّي خــادم الحــرمين فــيكم

وشـعـبـاً مـسلمـاً عـشق الوئامـا

نعــزِّي أُمَّـــةَ الإســـلام فـــيكم

ومـن صلَّـى لخـــالقـــه وصـــامـــا

نعـــــزِّي أهـلكم ونقـــــول: إنَّـا

وإيَّاهم تقــاسَـمْنا السِّـهــامــا

رضــينا بالقــضــاءِ ومــا جــزعنا

وإنْ ســالتْ مــدامــعنا ســجــامــا

ضـيـوفَ اللهِ، أَقْـبَلْتم سِـراعـاً

ونـار الشـوق تضطرم اضطرامـا

لـنبض قلوبكم وَهَـجٌ عـــرفنا

به الشـوق المُبَـرِّحَ والهُـيـامـا

نحـيـيكم تحـايا، لو رآها

ظلامُ الليل مـا عَـرَفَ الظلامـا

نثـرناها لكم في الدرب زَهْراً

وفـوق رؤوسكم تجـري غَـمـامـا

ضـيـوفَ اللهِ، أقـبلتم وفـوداً

كـرامـاً عند مَنْ يرعى الكِرامـا

ومن قـصـد الهـدايةَ نال منهـا

إذا صلحتْ سـريرتُه السَّنامـا

نفـضـتم عن كـواهلكم همـومـاً

وأسْلمـتم لربكم الزِّمـامـا

كـأني بالسـؤال يَفِـرُّ مني

إليكم، قـبل أنْ يغـدو كـلامـا:

طريق الخـيـر واضـحـةٌ، ولكنْ

لماذا تـاه عنهـا مَنْ تعـامى؟

ألـيـس الـرِّفْق أَوْلَـى بـين قــــومٍ
أجــابوا داعـيَ الحـجِّ الْتِــزامــا؟

أمــا عــرفـوا السكينةَ فـي صــلاةٍ
أمـا أَلْقـوا لبـعـضـهم السَّـلامـا؟

أمــا طافــوا ببـيتِ الله سـبـعــاً
وفـي أجــوائه رأوا الحَــمَــامــا؟!

ولـــيـــس الحـــجُّ إلا رُكْـــنُ ديـــنٍ
يُقــيم به الشــريعــةَ مَنْ أقــامــا

فكيف يصـيــر مـيــداناً لحــربٍ
يهــزُّ الأقــوياءُ لهــا الحــســامـا؟!

يدوســون الضــعـيف بلا حنانٍ
ويقــتــحــمــون بالعُنْف الزِّحــامــا

فكم فَـــوْجٍ تشـــابك بالأيادي
فــحـــوَّل كلَّ مَنْ لاقى حُطامـــا

وكم فَـــوْجٍ تنادى في انحـــدارٍ
فـزاد مـشـاعـر الخـوف احـتـدامـا

وكم فَـــوْجٍ يُفَـــرِّق مَنْ يـلاقـي
ويؤذي النـاس رَكْـــلاً وارتطامـــا

عــجــبتُ للابسِ الإحــرام ينسى
مــلاطفــةً ورفــقــاً واحــتــرامــا

يقـــــول لـربه: لـبـــــيكَ رَبِّي
وينسى أنه شَـــــرَعَ النِّظامـــــا

ضــيـوفَ اللهِ، يا مُــهَـجَـاً رأينا
عليـهـا من مـحـبـتـهـا وسـامـا

هـو الحـجُّ المبـــــارك ركْنُ ديـنٍ
يجنِّب مَنْ أدان به الخـــصـــامـــا

ويرقى بالقلوب عن التَّـــجـــافي
ويحـــتـــضن الأرامل واليـــتـــامى

يقـــــول لمن تغـــــافَل أو تَلَهَّى
ولم يُدْرِكْ ـ كمن سبقوا ـ المَراما:

إذا مـــا الناقـــةُ الكَوْمَـــاءُ فــرَّتْ
فـــأَدْرِكْـــهـــا، ولا تَلُمِ الخِطَامـــا

كـــثـــيـــرٌ من يقـــول: أبي وجـــدِّي
ولكنْ قَلَّ مَنْ بالحَـــزْمِ قـــامـــا

عبَّارة الموت

الطائف ١٤٢٧/١/٧هـ

«يا لها من قصَّة دامية رواها أحد الناجين من رُكَّاب عبَّارة الموت التي غرقت في البحر الأحمر».

أُصارعُ في الأمواج خوفي ورَهْبتي
وأسألُ رَبِّي أنْ يفرِّج كربتي

أرى الموت من كلِّ الجهات يحيط بي
فأُغمض من هول المصيبةِ مقلتي

سأروي لكم بعض الذي كان، إنها
لأعْجَبُ مأساةٍ، وأغربُ قِصَّةِ

وقفنا على عبَّارةِ الموتِ بُرْهَةً
لنا اللهُ من أقسى وأطولِ بُرْهَةِ

نظرتُ إلى أهلي، فَدَيْتُ عيونَهم
تُبادلني بالحزنِ أعمقَ نَظْرةِ

فكان حديثاً بالعيون مُحمَّلاً
بحزنٍ وآلامٍ وإحساسِ فُرْقَةِ

وقفنا سوياً وقفةً لو وصفتُها
لأعجزني وصفٌ لأقصرِ وَقْفَةِ
وما هي إلا لحظة طار بعدَها
صوابي وإحساسي وعزمي وهمَّتي
تهاوى مئاتُ الناس من كل جانبٍ
إلى البحر تمضي فِرْقَةً بعد فِرْقَةِ
قَفَزْتُ مع الأحباب قَفْزَةَ هاربٍ
يُواجه ما يَلْقى بذهنٍ مُشَتَّتِ
إلى أين؟ لا أدري إلى أين، إننا
نَفِرُّ إلى موجٍ وحوتٍ ولُجَّةِ
تلقَّفنَا الموجُ الرهيب، فلا أبي
رأيتُ ولا أُمِّي الرَّؤُوم، وإخوتي
صرختُ، وكرَّرتُ النداءَ، فلم أجد
سوى صرخاتِ الموج تلطم صرختي
وأصبحت وحدي في الخِضَمِّ يَهُولُني
من البحر ما يقضي على كلِّ فَرْحَةِ
فمن سابحٍ مثلي بطوق نجاته
ومن شاخص العينين حولي وميِّتِ

ومن رافعٍ إحـــدى يديه مُلَوِّحـــاً
تخـطَّفــه مــوجٌ فــألْهَبَ حــســرتي
سـبـحنا سـويَّاً سـاعـةً من جـراحنا
فكان أنيـسي فـي غَـيـاهبِ ظُلْمـتي
فلَّما تـراخى عـزمُه غاص واختفى
فللّهِ مـا عـانيتُ من جَـوْرِ وحـشتي
أمــامي طواه الموج والموت وانتــهى
أمـامي غـريقـاً مُشْـعِـلاً نار زفـرتي
تَلَفَتٌّ، مــا أقــسى تلفُّتَ خــائفٍ
تـراقــبــه المأســاةُ في كلِّ لَفْــتَــةِ
تلاقى أمـامي الليل والبحـر والأسى
ومـوجٌ يُريني هَجْــمَــةً إثْرَ هَـجْـمَـةِ
فلا تسألوا عن خنجر اليأس طاعناً
صمودي وصَبْـرَ القلب أسْـوأ طَعْنةِ
أُقــوِّي فــؤادي بالـرجــاء هُنَيْــهــةً
فلَّمـا يثـور البـحـر تنهـار قـوَّتي
أُحَـدِّث نفـسي بالنَّجـاة فـأنتـشي
وفي لَمحــةٍ تُنهي المعــاناةُ نَشْــوتي

نسيتُ ـ وربِّ الموج ـ معنى سعادتي

ومعنى رضا قلبي وأُنْسي وبسمتي

تلاشتْ معاني الوقت والعمر وانتهتْ

حكاية أحلامي وآفاقُ رغبتي

وأصبحت الدنيا كَحُلْمٍ بلا مَدَى

وهان أمام الموت علمي وثروتي

ألا بئسما هذي الحياة ولهوُها

وبئس بلهوي في الحياةِ وغفلتي

ألا ما أشدَّ الموتَ صوتاً وصورةً

تراءتْ لعيني منه أعجبُ صُورةِ

هنا صار ذكرُ الله أعظمَ ثروةٍ

وقيمةُ تَقْوى الله أعظمَ قيمةِ

أقول، وقد شاهدتُ ما لم أكنْ به

محيطاً، وقد واجهتُ أعظمَ صَدْمةِ

ألا ليت أهلَ البَغْي في الأرض لامسوا

من البحر والأمواج سرَّ المنيَّةِ

فيا رُبَّما عادوا إلى الحقِّ عَوْدَةً

وتابوا إلى الرحمن أجملَ تَوْبَةِ

نعم، إنَّهـا عـبَّـارةُ الموت لم تزلْ
تُحـرِّك في قلبي شجوني ولوعتي
أحـاط بهـا الإهمـالُ من كلِّ جـانبٍ
فصارت كسَيْفٍ للحقيقـةِ مُصْلَتِ
مَنِ القـاتلُ الجـاني؟ سـؤالٌ مـعلَّقٌ
على بابِ إنصـافٍ وعَـدْلٍ وحكمـةِ
رُكـامٌ من الإهمـالِ مـا زال جـاثماً
بما فيه من سوءٍ على صَدْرِ أُمَّتي
نعم، إنَّهـا عـبَّـارةُ الموتِ حَـوَّلَتْ
حـيـاتي إلى حـزنٍ وشـوقٍ ودَمْـعَـةِ
أراهـا بعين الحــزن في كلِّ نَظْرةٍ
توجِّهها عيني، وفي كلِّ غَمْضَةِ
وتسـمـعـها أُذْني صَـريراً وضَـجَّـةً
وطَقْطَقَــةً تُوحي بأعظم نَكْبَــةِ
ولولا يَقـــيـني بالإلهِ، وأنَّـهـــا
مـقـاديرُ تجـري في زمـانٍ مُـؤَقَّتِ
لطال بقلبي في الأنين مـقـامُـه
وطالتْ على دَرْبِ الجراحاتِ غُرْبتي

عـزائـي لكم يا مَنْ فـقـدتم أحِـبَّـةً

كفـقـدي أمـامَ العينِ أغلى أحِـبَّتي

عـزاءَ مُـحِبٍّ، صُـورةُ الهـولِ لم تَزَلْ

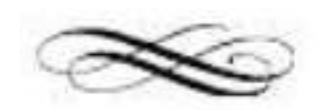
تُلاحـقـه في كل نومٍ وَصَـحْـوَةِ

أقـول لكم، والبـحـر سـاقَ دليلَه

على الموتِ في أجْلَى وأوْضَحِ عِبْـرَةِ

رِضـانا بما يقـضي الإلهُ دليلُنا

إلى راحـةٍ كُـبـرى وعَـفْـوٍ وَرَحْـمَـةِ



مَضَى عَليٌّ

«تلويحة وداع للشيخ علي الطنطاوي - يرحمه الله -».

منابعُ الشعر لم تبخلْ سواقيها
فكيف يحبسها مَنْ كان يُجريها؟
وكيف يسجنها في ليل وحشته
مَنْ لا يرى الأُنسَ إلا في قوافيها؟!
منابعُ الشعر ما جفَّتْ ولا مُزجتْ
بما يكدِّرها من وَهْم راويها
لكنَّها مُزجتْ بالحزن لوَّنها
بلونه، فرأينا حُزْنَنا فيها
يا لائمَ الشعر - صَمْتاً - رُبَّ قافلةٍ
تأبى مسيراً على أصوات حاديها
صَمْتُ الحزينِ بكاءٌ لا تحسُّ به
إلا القلوبُ التي جارتْ مآسيها
نبكي بلا أدمعٍ، إنَّ الدموع إذا
تمكَّنَ الحزن، جفَّتْ في مآقيها

مـا كلُّ مَنْ ذرفَ الدمع الغـزيـرَ بكى

قـد يـذرف المرءُ دَمْعَ العـين تَمْـويهـا

تُشـوى قلوبٌ بنـار الحـزن وهـي على

نهـر المحــبـة، تُستـسـقى غـواديهـا

أكلّمـا صَـدَحتْ في القلب صادحـةٌ

من الرضى جدَّد الأحزانَ ناعيها؟!

وكلَّمـا ابتـسـمتْ أطيـافٌ فـرحـتنا

مُـدَّتْ إليــهـا يَدُ الآلام تبكيــهـا؟!

يا من يعـاتبني في حـزن قـافيـتي

أمـا رأيتَ سهـام الحُـزْن ترمـيهـا؟!

هل تطلبُ الشَّدْوَ منهـا وهـي واجمةٌ

ممّا ترى، وسـتـار الليل يُخفـيـهـا؟

تشـــدو بـلابلُنـا لمَّا يضــاحكهـــا

فـجرٌ، ويسكتُ في الظلماءِ شـاديها

يا لائمَ الشـعـر هل أدركتَ مـا طُوِيَتْ

نفسي عليـه، وهل بانتْ مـراميهـا؟!

هل اطّلعتَ على آفـاق لَوْعــتــهـــا

والشـعــر يُبـعـدهـا عني ويدنيـهـا؟

أمــا علمتَ بأنَّ الشــعــر أفــئــدةٌ
نشــدو بهــا وجــراحــاتٌ نغنّيــهــا
مَنْ زيَّن النفس بالإيمان أنْزلهــا
مكانةً قلَّ فــينا مَنْ يُســامــيــهــا
بيني وبين إباءِ الشــعــر ألويةٌ
مــعــقــودةٌ، ومــواثيقٌ نُراعــيــهــا
نبكي بعــينينِ من دمعٍ ومن لغــةٍ
شعــريةٍ، لم تزل تسمو معانيها
نغدو، نروح، نرى، نُصغي، نمدُّ يداً
بلا ذراعٍ إلى الأغــصــانِ نجنيــهــا
نسعى، نحثُّ خُطانا، والسرابُ على
طريق أحــلامنا العَطْشَى يُلَهِّــيــهــا
ونســتــدرُّ من الدنيــا ســعــادتَنا
وليس في ضَــرعــهــا إلاَّ عَــواديها
نبني، وتهــدم مــا نبني نهــايتُنا
كم تسخر الأرضُ من إصرار بانيها
تهــيَّــأتْ هــذه الدنيــا لجــائحــةٍ
لأنَّهــا رفــعتْ من شــأنِ عــاصــيــهــا

وأغرقتْ في محيط الظلم مركبَها

وصار إعلامُها بوقاً لغاويها

ما بين حينٍ وحين ينتهي عَلَمٌ

وتنطوي صفحاتٌ جلَّ طاويها

يا ربِّ عونَك ما زلنا نرى ثُلَماً

في أُمَّةٍ تشتكي جَدْباً مغانيها

رحيلُ أحبابنا نارٌ مؤجَّجة

تُذيب أكبادنا وَجْداً وتُصليها

مضى عليٌّ، أديبُ الفقه، شيَّعَه

حبٌّ عظيمٌ وآلامٌ نُداريها

وشيَّعتْه نفوسٌ طالما شربتْ

من نَبْع حكمته ما كان يُرويها

وشيَّعتْه قلوبٌ نَبْضُها أملٌ

في الله أن يسكن الجنَّاتِ باغيها

مضى الأديب العصاميُّ الذي احتفلتْ

به البلاغةُ وازدانتْ روابيها

مضى، كأنْ لم يصافحْ كفَّه قَلَمٌ

عّذْبٌ يذود عن الفصحى ويَحميها

يا مـــازجَ العلمِ بالآدابِ في زمنٍ
آدابُه انسلختْ مما يزكِّـــيـــهـــا
عزَّتْ بك اللغة الفصحى وكنتَ بما
أُوتيتَ من فكرك الصافي تغذِّيها
رفعتَ من قصص التاريخ ألويةً
ما زال يقصر عنها مَنْ يُباريها
وَشَّيتَها بجميل القول فابتهجتْ
فيها المعاني بما صاغتْ مبانيها
في ذكرياتكَ كَنْزٌ قد بنيتَ به
صروحَ وعيٍ، لسانُ الصدق يَرويها
بها فتحتَ لنا الأبوابَ مُشْرعةً
إلى حقائقَ كاد الصمتُ يُفْنيها
أسْلَمْتَ للأدب الراقي صياغتَها
حتى التقتْ بأدانيها أقاصيها
ودَّعْتَنا في زمانٍ، ليلُ غربتهِ
يكاد يَلْتهم الدنيا وما فيها
ما بين فكرٍ إباحيٍ وعَوْلَمَةٍ
في كفِّ بائعها سُمٌّ لشاريها

وأمتي ـ يا أديبَ الفقهِ ـ في زمني

تكاد تخرجُ من إشراق ماضيها

لها يَدٌ غيرَ أنَّ الحزمَ يُنكرها

فما ترى الحزمَ إلا في أحاجيها

ما أقفرتْ أمتي، لكنَّ غفلتَها

ولهوَها أنزلتْها من معاليها

يا مازجَ العلمِ بالآدابِ، كم هُرِعَتْ

إليك أحرفُنا الخضراءُ تؤويها

غادرتنا وحروف اللاَّهثين على

دَرْب الحداثةِ آفاتٌ نلاقيها

صاولتَ أمثالَها بالحقِّ في زمنٍ

مضى فحدَّثتِ الحَصْبَاءُ عن فِيْها

كذلك الهِمَمُ الكبرى إذا بُنيتْ

على الوفاءِ، تهاوى مَنْ يعاديها

ها نحن نغرس أشجارَ الشموخ على

شطآننا، وبماءِ الحبِّ نسقيها

تمدُّ أغصانَها خضراءَ مثمرةً

فما تُطيق لها الرَّمضاءُ تَشْويها

إنـا لنـحـــــــرس آثـار الـذيـن بنـوا

بالحــزم والخُلُقِ الأسـمى نقـوِّيهـا

إليكَ منـا زهـوراً من مـــحــــبـــتنـا

ودعـوةً فـي ظلام الليل نُزجـيـهـا



أَبا عُمَرَ الحبيبَ

طريق الباحة - الطائف ١٤٢٥/٢/١٤هـ

«مع العزاء إلى أبناء الحبيب الراحل د/مانع الجهني وأهله وكلّ مسلم»

تُشاركُكَ الأسى هذي التِّلال

وتبكي - مثلما تبكي - الجبالُ

يشاركُكَ الأسى ليلٌ طويلٌ

توارى نجمه وبكى الهلالُ

يشاركُكَ الأسى حُلُمٌ جريحٌ

وساعاتٌ من الشكوى طِوالُ

كأن الأرض حولك قد أحسَّتْ

بما نقل الرُّواةُ لنا وقالوا

رأتْكَ - عَراءُ - تُطرق في وجومٍ

فبان على ملامحها انشغالُ

كأنَّ الحزنَ منكَ سرى إليها

وأرَّقها وضاق بها المَجَالُ

لقد حملتْ أساكَ على أساها

وكم حُرٍّ يطيبُ له احتمالُ

لقـد رحل الحـبـيبُ فـلا تجـادلْ
وهل سـيـعـيـد مَنْ رَحَل الجـدالُ
مَـــآلُ الناس لـلأُخـــرى ولـكنْ
يغـــيبَ عن الذي يَلْهُـــو المَآلُ
هـنـالـكَ لا أَبٌ يُـغـنـي غَـنَـاءً
ولا أمٌّ ولا عَـمٌّ وخــــــــالُ
أبا عُـمَـرَ الحـبـيبَ رحلتَ عنَّا
وبَحْـرُ الذكـريات لـه جُـفـالُ
بكـتْـكَ «النَّـدوةُ الغـــــرَّاء» لمَّا
نعى النَّاعي وردَّد مـــا يُقـــالُ
بكتْكَ وحُقَّ أنْ تبكي مـحـــبـاً
له برقيٍّ أُمَّــتــه احــتـفـالُ
لـه في دعـــوةِ الإِســلام سـعـيٌ
وأقـــوالٌ تؤيِّدها الفَــعَــالُ
رعى هِمَم الشَّـبــاب وهم كنوزٌ
لأُمَّــتنا بهــمّــتــهم يُدَالُ
وداعــاً ـ مـانعُ الجـهنيُّ ـ إني
أُودِّع، والدمـوع لهـا انهــمـالُ

طواك الموتُ عنَّا، غيرَ أنَّا
نراك بحسن ذكركَ ما تزالُ

لك العمر الذي ولَّى ويبقى
من الذكر الجميلِ له اتِّصالُ

يُمَدُّ العمرُ بالطاعاتِ مَدّاً
وبالعصيان، للعمرِ اختزالُ

أبا عمرَ الحبيبَ بكاكَ وعيٌ
بأحداثٍ، لها فينا اشتعالُ

بكتْكَ عيونُ أرملةٍ وثَكْلَى
يضيق بوصف ما تشكو الخيالُ

بكتْكَ عيونُ أيتامٍ صغارٍ
وأعباءٌ لأُمَّتنا ثِقَالُ

بكتْكَ قوافلُ الإصلاح، تمضي
عليها من مآثركَ الظِّلالُ

بكتْكَ إغاثةٌ وبكاكَ سَعْيٌ
دؤوبٌ لا يُخالطه كَلاَلُ

بكتْكَ مدارسُ التحفيظ، مُدَّتْ
لها من صِدْق همَّتِكَ الحبالُ

مـــراكـــزُ دَعْـــوَةِ الإســـلام تبكي
فـــراقَك، والبكاءُ لهـــا حَـــلاَلُ
مـضتْ سَنَواتُ عـمـركَ في عطاءٍ
به وبمثله يســـمـــو الرِّجـــال
ومـا الدنيـا سـوى بيتٍ صـغـيـرٍ
يقـــيم علـى منافـــذِه الزَّوالُ
فـمن خـرجـوا ومن دخلوا جـمـيعـاً
تُشَـــدُّ لهم إلـى الموتِ الرِّحـــالُ
لكَ الدَّعَـوات بالرَّحـمـات تَتْـرَى
وعند اللهِ، مـــا خـــابَ السُّـــؤالُ
عـــزائـي فـــيكَ أنَّ المـوتَ حَقٌّ
وأنَّ بقـــاءَ دنيـــانا مُـــحَـــالُ



سرحان

الرياض ١٤٢٤/٥/١هـ

إهداء:

إلى شريك الحزن على فقد والده الفقيد الشيخ «سرحان بن مسفر»، إلى الصديق «علي بن سرحان» مع دعوة صادقة بالرحمة والمغفرة لوالده الراحل.

تهون دنياكَ، والأحبابُ ما هانوا

يا شاعراً، قلبُه الخفَّاق وَلْهَانُ

ما كلُّ مَنْ رحلوا غابوا، فكم رحلتْ

أجسام قومٍ، وهم في القلب سُكَّانُ

بعض العباد، له ذكرى معطَّرَةٌ

فكلُّ أَخباره وَرْدٌ وريحانُ

وبعضُهم كنباتاتٍ مشوَّكةٍ

لذكره في قلوب الناس نُكْرانُ

هل يرحل القلبُ؟ لا تسألْ، فكم رحلتْ

منَّا القلوبُ على آثارِ مَنْ بانوا

وكم ضحكنا، وفي الأعماقِ حسرتُنا

يُخفي مواجعَنا صَبْرٌ وسُلْوانُ

نُخفي عن الناس ما نشكوه من ألَمٍ
وفي المدامع والآهاتِ إعلانُ
رحيلُ أحبابنا مهما نهوّنه
صَعْبٌ، له في حنايا القلب نيرانُ
يا ناقل الخبر المُبكي إليَّ، لقد
أضَفْتَ حزناً، وفي الوجدان أحزانُ
نمسي ونصبح، والأيّام شاهدةٌ
بما نكابده، والعقلُ حيرانُ
كلٌّ، له في دروب الحزن موقعُه
مهما تواضعَ منّا أو عَلا شَانُ
تقول: مات فلانٌ، ما علمتَ بما
يعنيه للخافق المجروح «سرحانُ»
«سرحانُ»، قلبٌ جميل النَّبْضِ كان له
من طاعة الله بنيانٌ وأركانُ
«سرحانُ»، دعوةُ خيرٍ في مجالسنا
كانت به حلقات الذِّكر تزدانُ
تلقاه في مسجدٍ، أو عند مكتبةٍ
يتوق منه إلى الإصلاح وجدانُ

يُهدي كتاباً، ويستهدي الدُّعاءَ له
إنَّ الدُّعاءَ لأهل الخير إحسانُ

يا ناقلَ الخبر المُبكي، بعثْتَ شَجَىً
له من الدمع في العينينِ هتَّانُ

أبو عليٍّ، طواه الموتُ؟ كم فُجِعَتْ
بمثل هذا الذي أخْبَرْتَ آذانُ

ودَّعْتُه ـ عامَنا الماضي ـ على أملٍ
والصدر منشرحٌ، والقلب جَذْلاَنُ

واليومَ غابَ عن الدنيا فليس لنا
فيها لقاءٌ، ولا للجمع إمكانُ

يا ناقلَ الخبر المُبكي، فمي جمَدتْ
فيه الحروف، ودمع العينِ هَتَّانُ

وهل يُجَمِّد في الأفواه أَحْرُفَنا
إلا الأسى وجراحاتٌ وأشجانُ

يا واديَ «المَلَدِ» الباكي أرى ألماً
به تبوح من الأشجار «خِيْطَانُ»

كأنني بشجيراتِ الحَمَاطِ بكتْ
حزناً، وأيَّدها لوزٌ ورُمَّانُ

وأيَّدَتْهـا جـبـالٌ حـولَهـا وجَـمَتْ
وشـاركـتَهـا وجـومَ الحـزنِ كُثْبَـانُ

مـاذا تقـول لنا أغـصـانُ «رُقَّعَـةٍ»[1]
لـرَّبما ذبُلَتْ بالحـزن أغـصـانُ

وربما سـقطت أوراقُـهـا أسـفـاً
وثار في جـذعـهـا للحـزن بركـانُ

نرى الطبـيـعـةَ تبكي مـثلَنا ألماً
إذا اشتكتْ من لهيب الدمع أجفانُ

لا تعجبي يا جراحَ القلب، إنْ فُتحتْ
قلوبنا لكِ فـالأحـزانُ ألوانُ

إذا تمكَّن حـزنٌ من مـشـاعـرنا
تـدثَّـرَتْ بـرداءِ الحـزنِ أوطـانُ

يا رحلةً، لم تَقِفْ يومـاً مـراكـبُـهـا
ولم يقفْ دونهـا في الأرض إنسـانُ

مـضى الأحـبـة حـتى قـال قـائلُنا
إذا تحـدَّثَ عن أحـبـابه: كـانوا

(1) الرقَّعة: شجرة، عريضة الأوراق تظلّل جزءاً كبيراً من ساحة منزل الفقيد في قرية المَلَدْ بمنطقة الباحة.

مَنْ عاشَ؟ مَنْ ماتَ؟ لن نُحصي لهم عدداً

ولن يُحيطَ بهم إِنْسٌ ولا جَانُ

يا ربِّ، ودَّعَنا الأحبابُ وارتحلوا

ومنكَ يا ربِّ إحسانٌ وغُفرانُ

جنَّاتِ عَدْنِكَ يا رحمنُ نطلبُها

فامننْ بها، أنتَ يا ذا الجودِ منَّانُ

بك اعتصمنا، وفي أعماقنا ثقةٌ

وفي الصّدور من الإيمانِ بُستانُ



أوَّاه يا عبدَ العزيز

الرياض ١٤٢٥/٢/٢٨هـ

«إلى روح عبد العزيز الرنتيسي ومرافِقيْه ـ رحمهم الله ـ»

فتحوا لك البابَ الجميلَ سريعا

فنَجَوْتَ أنتَ وإن رأوكَ صريعا

وسمَوْتَ أنتَ إلى العُلا وتهافَتُوا

وغَدَوْتَ في زَمَنِ الجفافِ ربيعا

خضعوا لأهواء النفوسِ وغدرها

وأَبَيْتَ أنتَ تَزَلُّفاً وخضوعا

قتلوكَ غَدْراً يا حبيبُ وإنما

بالغدر صار حديثُهم مسموعا

واللهِ ـ لولا الغدرُ ـ ما اجتمعوا على

أرضِ الرِّباط، ولا رأوا تطبيعا

لو واجهوكَ لواجهوا البَطَلَ الذي

يأبى إلى غير الشُّموخِ نُزُوعا

قتلوكَ يا عبدَ العزيز فأحدثوا

واللهِ جرحاً في الفؤادِ وَجيعَا

مـــاذا يقـــول لك المحبُّ؟ ونارُه

قـــد لوَّعَتْ وجـــدانَه تَلْويعـــا

أنا لستُ أُنكر أنهم قـــد أحـــزنوا

قلب المحبِّ وأَوْرَثُوه صُـــدوعـــا

لـكنَّـه حُـــــــزْنٌ يـزيد قـلوبَنـا

أمـــلاً تَمُـــدُّ به الأُصـــولُ فُـــروعـــا

عـبدَ العـزيزِ، رَحَلْتَ عنَّا شـامـخاً

ولقـــيتَ رَبَّ العـــالمين مُطيـــعـــا

أَدْرَكْتَ ياسينَ الحـــبـــيبَ كـــأنَّمـــا

ســاقَ اشـتـيـاقُكَ قلبَك المفـجـوعـا

قـدَّمْتَ نفـسَك وانطلقتَ بهـا ولم

تَمْـلأْ عـيـونَ مُـرَافِـقـيْكَ دمـوعـا

طرتم بأجنحـــةِ البطولةِ إِخْـــوةً

لاذوا بـربِّ العـــالَمين جـــمـــيـــعـــا

لكأنني بكم اتَّخـــذتم مـــوقـــعـــاً

عند الإلهِ ومنزلاً مـــرفـــوعـــا

وتـركــــــتم الماءَ المكدَّرَ عـنـدنـا

وشـربتـمـو مـاءَ الحـيـاةِ نَجِـيْـعَـا

أَشــلاءُ أَبطالِ الجــهــادِ تحــوَّلتْ

دُرَراً، وصــارتْ في الظلامِ شـمـوعـا

ودمــاءُ أبطالِ الجــهــاد تدفَّـقـتْ

مِـسْكاً، يُضـوِّع كـونَنا تَضْـويعـا

إني لأسـمعُ في التُّـراب نشـيـدها

وأرى عليــه كـتــابَهــا المطبــوعــا

وأكـاد أسـمع من حـديثِ عَـجينها

قــولاً يُنبِّــه غــافــلاً مــخـدوعـا:

خـابَ اليـهـودُ وخـاب مَنْ يبني على

خُطط اليـهـود لنفـسـه مـشـروعـا

عــبـدَ العـزيزِ رحلتَ عنَّا مـثلمـا

رحل الضِّـيـاءُ مكرَّمـاً مـرفـوعـا

ودَّعــتنا شــهـمــاً أجـادَ بصـدقـه

حُـسْنَ اللِّقـاءِ، وأَحْـسَنَ التَّـوديعـا

لم يقــتلوك، وإنَّـمــا نصــبــوا لنا

عَلَمـاً من الشـرف العظيم رَفـيـعـا

أبـكـيكَ؟، لا والـلـه بـل أبـكي عـلـى

مَنْ يـجــهلُ التَّـدويرَ والتَّــربيــعــا

أنا ـ يا أخا الإسلام ـ أبكي غافلاً

مِنْ قومنا لم يفهمِ الموضوعا

أوَّاه يا عبد العزيز لأمَّةٍ

ما زال حَبْلُ إبائها مقطوعا

نهشَتْ كلابُ المعتدي أعضاءَها

ويظلُّ مليارُ الغثاءِ وَديعا

بِيعَتْ كرامتُها، وسيفُ جهادها

في سوق تُجَّار المبادئِ بِيّعَا

وأرى لها ثوباً تمزَّق، لم تَجِدْ

ثوباً سواه، ولم تُجِدْ ترقيعا

أنا ما يَئِسْتُ ولا جَزِعْتُ فإنما

تطوي الهزائمُ في الحياةِ جَزوعَا

أنا لا أقولُ أُضيعَ مَجْدُ عقيدتي

لكنَّ عَزْمَ المسلمينَ أُضيعا

يا أهلَ أبطالِ الجهادِ، عزاؤُنا

أنَّ الشهيدَ غداً يكون شَفيعا

ما أقربَ الدنيا من الأُخرى فلا

نامت عيونٌ تعشق التَّلميعا

لا فَـرْقَ بين الناسِ في لُغَـةِ الرَّدَى

مَنْ عـاش أَلْفـاً أو قـضى أُسـبـوعـا

إِنَّا نُهنِّئُ مَنْ نُعــزِّي حــينمــا

تـزدادُ بارقــةُ الجــهــادِ سُطوعــا



هو رامي أو محمَّد

الرياض - الازهار ١٤٢١/٧/٩هـ

«اتصل بي عدد من الأخوة والأخوات بعد قراءتهم لقصيدتي «رامي» عن الطفل الفلسطيني الذي قتل في حضن أبيه الجريح، وأكَّدوا لي أنهم قرأوا وسمعوا اسم الطفل «محمد» وليس «رامي» علماً بأن وسائل الإعلام نشرت الاسم مختلفاً، فكانت هذه القصيدة»

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ طفلاً مسلماً في ساحة الموتِ تمَدَّدْ

أنَّ جنديَّاً يهودياً على الساحةِ عربَدْ

وتمادى وتوعَّدْ

ورمى الطفلَ وللقتلِ تعمَّدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ طفلاً وأباً كانا على وعدٍ من الموتِ محدَّدْ

مات رامي أو محمَّدْ

مات في حضن الأب المسكينِ...

والعالَمُ يشهدْ

مَشْهدٌ أبصرَه الناسُ....

وكم يخفى عن الأعيُنِ مشهَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ إرهابَ بني صهيونَ...

في صورته الكبرى تجسَّدْ

أنَّ حسَّ العالَم المسكونِ بالوَهم تبلَّدْ

أنَّ شيئاً اسمُه العطفُ على الأطفالِ....

في القدس تجمَّدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ لصَّاً دخل الدَّارَ وهدَّدْ

ورأى الطفلَ على ناصيةِ الدَّرْب فسدّدْ

وتعالى في نواحي الشارع المشؤومِ صوت القصفِ حيناً...

وتردَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ جيشاً من بني صهيونَ....

للإرهابِ يُحْشَدْ

أنَّ نارَ الظلم والطغيان تُوقَدْ

أنَّ آلافَ الخنازيرِ....

على المنبع تُوْرَدْ

هذه الطفلةُ «سارَةْ»

زهرةٌ فيها رُواءٌ ونضارَةْ

رَسَمَ الرشَّاشُ في جبهتها...

شَكْلَ مَغارَةْ

لم تكن تعلم أن الظالم الغاشمَ أزْبَدْ

وعلى أشلائها جمَّع أشلاءً وأوقَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهَدْ:

أنَّ جرحَ الأمةِ النازفَ منها لم يُضَمَّدْ

أنَّ دَيْنَ المجد ما زال علينا....

لم يُسَدَّدْ

أنَّ باب المجدِ ما زالَ...

عن الأمَّةِ يوُصَدْ

صورةُ المأساة تشهد:

أنَّ أشجاراً من الزيتونِ تُجْتَثُّ....

وفي موقعها يُغرَسُ غرقَدْ

أنَّ تمثالاً من الوهمِ...

على تَلٍّ من الإلحادِ يُعْبَدْ

هو رامي أو محمَّد

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ ما أَدْلى به التاريخُ....

من أخبار صهيونَ مؤكَّدْ

أنَّ ما نعرف من أحقادِ صهيونَ تجدَّدْ

ما بَنُو صهيونَ إلاَّ الحقدُ...

في صورةِ إنسانٍ يُجسَّدْ

أمرُهم في نَسَق الناسِ معقَّدْ

يا أعاصيرَ البطولاتِ احمليهمْ

ووراء البحر في مستنقع الذُّلِّ اقذفيهمْ

وعن القدسِ وطُهْرِ القِبْلة الأُولى خذيهمْ

قرِّبيهم من مخازيهم وعنَّا أبعديهمْ

هو رامي أو محمَّدْ

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومُرشَّدْ

هي لُبْنَى هي سُعدى وابتسامٌ وهيَ سارَةْ

هم بواكيرُ زهور المجد في عصر الإثارةْ

هم شموخٌ في زمانٍ أعلن الذلُّ انكسارَهْ

هم وقود العزم والإقدامِ عنوانُ الجَسَارَةْ

هم جميعاً جيلنا الشامخُ....

«أطفالُ الحجارَة»

لو سألناهم لقالوا:

ما الشهيدُ الحرُّ....

إلا جَذْوَةٌ تُوْقِدُ نارَ العزمِ

والرَّأيِ المسدَّدْ

ما الشهيد الحرُّ إلاَّ....

شَمْعَةٌ تطرد ليلَ اليأسِ....

والحسِّ المجمَّدْ

ما الشهيد الحرُّ إلاَّ....

رايةُ التوحيد في العصر «المُعَمَّدْ»

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ....

وَثْبَةُ الإيمانِ في العصر "المهوَّدْ"

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ....

فارسٌ كبَّر للهِ ولمَّا حَضَرَ الموتُ تشهَّدْ

ما الشهيدُ الحُرُّ إلاّ....

روح صدِّيقٍ إلى الرحمنِ تصعَدْ

أيُّها الباكونَ من حزنٍ علينا.....

إنما يُبْكَى الذي استسلمَ للذلِّ وأخلَدْ

نحن لم نُقتلْ....

ولكنَّا لقينا الموتَ أعلى همَّةً منكم وأمجدْ

نحن لم نحزنْ ولكنا فرحنا ورضينا

فافرحوا أنَّا غسلْنَا عنكم الوهْمَ الملبَّدْ

طلِّقوا أوهامكم....

إنَّا نرى الغايةَ أبعَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومرشَّدْ

ربَّما تختلف الأسماءُ لكنْ

هَدَفُ التحريرِ للأقصى موحَّدْ

رسالة من بين الحُطام

الرياض ٢٢/٦/١٤٢١هـ

فـي صُـبْحِ يومٍ كـالحِ الأنوار

كـان انطلاقُ نهـايةِ المشـوارِ

ودَّعْتُ أمي والصِّغـارَ وزوجـتي

وبدأتُ بالعَـزْمِ الطَّمـوح نهـاري

وخـرجتُ من داري إلى سـيَّارتي

وتركتُ فَيْضَ مشـاعري في داري

سأعود بعد الظهر أحملُ في يدي

حَلْوَى، تَهَشُّ لهـا قلوبُ صـغـاري

سـأعود بعد الظهـر أشـربُ قـهوةً

وأحـدِّث الأحـبـابَ عن أخـبـاري

هـي رحلةٌ يومـيـةٌ، أغـدو بهـا

وأروح أرسم في الحـيـاة مَـسـاري

عـملي هو التـعليم، أشـرفُ مـهنةٍ

في الأرض، تنشـر صـالح الأفكارِ

أبني السَّــواعــد للبــلاد، وإنما

بالعلم تُبْنَى هِمَّــةُ الأخــيــارِ

مــا بين مــدرســتي وداري، لم يزلْ

دربــي يُحَفُّ بـأجـــــمـل الأزهـارِ

مــا بين مــدرســتي وداري، رحلةٌ

يومــيَّــةٌ مــحــمــودةُ الآثارِ

أغـدو إذا هَتَف الصبـاحُ وفـي يدي

قلمي، وتَنْمـيـةُ العـقـول شـعـاري

مـا كـان حـولي مـا يثيـرُ مـخـاوفي

لمَّا انطلقتُ، ومــا يَهُــزُّ قَــراري

لكنني مــا كنتُ أقــدر حــينَهــا

أنْ أســتــريح من الأسى المَمَّــوارِ

أنا لست أكــتــمكم بأني كنتُ في

قَلَقٍ علـيَّ، وكنـتُ في إِصــــرارِ

مــــاذا جــــرى، لا شيءَ إلاّ أنني

أنكـرتُ نفـــسي أيَّمــــا إِنكارِ

إني أرى ــ هذا الصبـاحَ ــ عـبـارةً

نُقِـشَتْ على جـفنيْ تقـول: حَـذارِ

وسمعتُ نَبْضَ القلب أعلى نَبْرةً
وكأنَّه في حالةِ استنفارِ

وشعرتُ أنَّ الشوق في قلبي إلى
داري وأهلي صار مثلَ النَّارِ

ما كان وجهُ الشمسِ حين رأيتُه
طَلْقاً ولا متحرِّرَ الإِسفارِ

كانتْ مغبَّشةٌ تُحاط بهالةٍ
غبراءَ ترسمها خيوطُ غُبارِ

وأنا أسابق كلَّ ما وصفوه من
ريحٍ ومن موجٍ ومن تيَّارِ

سيَّارتي تجتاز كلَّ إشارةٍ
حمراءَ في صَلَفٍ وفي استكبارِ

ومَعازفُ المِذْياعِ تَمْلأُ مسمعي
نَغَماً يجسِّد ثَوْرَةَ الأَوْتارِ

أنا خَلْفَ مِقْوَدِها الجميل أكادُ من
وهمي، أَذُمُّ مَهارةَ الطيَّارِ

وكأنني ـ في حينها ـ رَجُلٌ بلا
عقلٍ يحرِّك وَعْيَه ويُداري

مـــا كنت أحـــسَبُ أنَّ رحلتي التي
بدأتْ ستطوي صفحتي وتُواري

يا ضَيْعَةَ الأيَّام، كيف صَهَرْتُها
في لحظةٍ محمومة الإعصارِ

يا ضَيْعَةَ الحُلُمِ الجميلِ تركتُه
يَبني السَّعادةَ في نفوسٍ صغاري

يا ليتني راجعتُ نفسي قبل أنْ
تمضي إلى جسر الرَّدَى المُنْهَارِ

يا ليت، لو أنَّ التَمنِّيَ نافعٌ
مَنْ غاصَ في دوَّامة الأخطارِ

يا ليت قومي يعلمون فإنني
أخشى عليهم عُقْدَةَ المنشارِ

يا قوم، إني واحدٌ منكم إلى
حُفَرِ الفَنَاءِ خرجْتُ من أطماري

أنهيتُ عمري كلَّه في لحظةٍ
وبنيتُ دونَ أحبَّتي أسواري

ما كنتُ في ساح الجهادِ ولم أكنْ
متصدِّياً لجحافل الكفَّارِ

مــا كنتُ إلاَّ ســائقــاً مــتــهــوِّراً

مــتلبِّــســاً بطبــائع الشُّطَّارِ

هـذا الحُطامُ أمــامكم ســيَّــارةٌ

خــضــراءُ، كــانتْ زينـةَ الأبصــارِ

كــانت مــجــمَّلةً بأكــمل زينـةٍ

مــوصــولةً بالهــاتف الســيَّــارِ

أطلقــتُــهــا للريح دونَ هَوَادةٍ

مــتــجــرِّداً من حكمــتي ووقــاري

وأصــابني مــثلُ الجنونِ فلم أعُــدْ

أدري إلى أيِّ الجــهــاتِ مَــداري

هي لحظةٌ مــرَّت كــومــضــةِ بارقٍ

نَقَضَ الفَناءُ بهــا خــيــوطَ إِزاري

هذا الحُطَام رســالةٌ مــخــتــومــةٌ

بدمي، فــمن يُصــغي إلى إنذاري؟



رامي

الرياض - الازدهار ١٤٢١/٧/٦هـ

«رامي جميل الدرة، الطفل الفلسطيني الذي قتله الصهاينة بين يدي والده الجريح»

«صورة مأساوية لا تُنسى».

يا رامي .. اجلس يا ولدي

وتجنَّبْ قَصْفَهُمُ الدَّامي

يا رامي .. اجلس من خلفي

وتترَّسْ منهم بعظامي

اجلسْ يا ولدي من خَلْفي

لا تنهضْ فالموتُ أمامي

طلقاتُ رصاصٍ، يا وَيحي

إلصقْ في ظهري يا رامي

طلقاتُ رصاصٍ، يا ويحي

ادخل في جسمي يا رامي

احذرْ فالأرض بما صنعوا

تتزلزَلُ تحتَ الأقدامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. يا أبتي

أُسكتْ ـــ يا ولدي ـــ يا رامي

أفـــــــديك بروحي يا أبتي

أسكت ـــ يا ولدي ـــ يا رامي

أحـــميك بجــسـمي يا أبتي

أسكت ـ فـالله ـ هو الحـامي

احـذرْ يا ولدي قـد فـتحـوا

رشّـاش الحــقــدِ المتنامي

طلقـاتُ رصـاصٍ .. صَـرَخـاتٌ

تـرسـم خــــــارطـةَ الآلام

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. وسكونٌ

يتـحـــدَّثُ عن مـوتِ غُــلام

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. يا ويلي

يا فِلْذَةَ كَـــبِـــدي يا رامي

طلقـات رصـاصٍ .. مـا بالي

لا أســمع صــوتك يا رامي

يا فـرحــة عــمـري يا ولدي

يا ســرَّ صـــفـــائي يا رامي

مــــا بالُ يديكَ قـــد ارتخـــتـــا

مــــا بالُك تجـــمـــد يا رامـي

قل لـي يا ولـدي حـــدِّثني

بالغْ في شـتـمي وخـصـامي

لـكـنْ يـا ولـدي لا تـسـكـتْ

لا تقـــبلْ زهرة أحــلامـي

أنفـــاسُكَ يا رامـي سكنـت

سكنتْ أنفـــاسُك يا رامـي

هل مـات حـبـيـبي، هل طُويتْ

صـفـحـتُـه قـبلَ الإِتمام؟؟!

يا أهـل النَّخـــوة من قـــومي

من يَمَنِ العُـــربِ إلى الشـــام

يا أهـل صـــلاةٍ وخـــشـــوعٍ

يـا أهـل لبـــاس الإِحــــرام

يـــا كـــلَّ أبٍ يـــرحـــم ابــنـــاً

يا كلَّ رجـــال الإسـلامِ

يا أهـلَ الأبواق أجـــيـــبـــوا

يـا أهـل السَّـــبْقِ الإعـــلامـي

يا هيــــئــــةَ أممٍ مُــــقْــــعَــــدَةٍ

تـــــشـــــكـــــو آلافَ الأورامِ

يا مــجلسَ خــوفٍ أحــسَــبُــه

أصـــبح مـــأجـــورَ الأقـــلام

يـا أهـل الـعــــولمةِ الكبـــــرى

يـا أَخْلَصَ جنـدِ الحـــاخـــامِ

يـا من سطَّرتم مــــأســـاتي

ورفـــعـــتـــم شـــأن الأقـــزام

يـا أهـل النَّخْـــوة في الـدنيـــا

أو لســـتم أنصـــارَ ســـلامِ؟

أســـــلامٌ أن تُســـــرق أرضـي

أن يُقـــتل في حـــضني رامي؟!

مـــا بالي، يتـــلاشى صـــوتي

لـم أبصـــرْ جَـــبْـــهـــةَ مـــقـــدامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. أشـــلاءٌ

نـارٌ كـــالحـــةُ الإضـــرامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. صُـــبُّـــوها

إنْ شـــئـــتم في قلبي الدامي

صبُّها في هامة رأسي

وجميع عروقي وعظامي

فالآنَ تساوتْ في نظري

أوصافُ ضياءٍ وظلامِ

والآن تشابه في سمعي

صوت الرشاش وأنغامي

والآن سيمكث في قلبي

لن يرحل من قلبي رامي

لن أنسى نظرته العَطْشَى

لن أنسى مَبْسَمَه الدَّامي

لن أنسى الخوفَ يعلِّقه

بذراعي اليُمنى وحزامي

حاولتُ استجداءَ الباغي

وبعثت نداء استرحامِ

لكنَّ نداءاتي اصطدمتْ

بجمود قلوبِ الأصنامِ

هل قتلوا رامي .. ما قتلوا

فحبيبي مصدرُ إلهامي

مــا زال حــبــيــبي يَتْــبَــعُني

ويســـــيـــــر ورائي وأمـــــامي

ســـأجـــهِّـــز إخــوته حـــتى

يتـــــألَّق فـــجـــرُ الإســـلام



شموخ الصابرين

الرياض ١٧/١٠/١٤٢١هـ

«وقفة وداع شعري لابن عثيمين ـ يرحمه الله»

لحقَ الشيخُ بركبِ الصالحينْ
فلماذا يا جراحي تنزفينْ؟
ولماذا يا فؤادي تشتكي
ولماذا يا دموعي تَذرفينْ؟
رحل الشيخ عن الدنيا التي
كلُّ ما فيها ـ سوى الذِّكر ـ لَعينْ
فارقَ الدنيا، وما الدنيا سوى
خيمةٍ مَنصوبةٍ للعابرينْ
فارقَ الدنيا التي تَفْنَى إلى
منزلٍ رَحْبٍ وجناتٍ، وعِينْ
ذاكَ ما نرجو، وهذا ظنُّنا
بالذي يغفر للمستغفرينْ
رحل الشيخُ على مِثْلِ الضُّحَى
من صلاحٍ وثباتٍ ويقينْ

فلمــــاذا أيُّهــــا القلبُ أرى
هذه اللَّوْعَــةَ تســري في الوَتينْ؟
ولماذا يا حــروفَ الشــعــر عن
ســـرِّ آلام فـــؤادي تكشـــفينْ؟
اتركي الحــسـرةَ في مـوقـعـهـا
تتــغــذَّى من أسى قلبي الحــزينْ
وارحلـي بـي رحلـةً مُـــــوغلةً
في حـــيــاةِ العُلمــاءِ الأكــرمينْ
واسلُكـي بـي ذلـكَ الـدَّرْبَ الـذي
ظِلُّه يحـــمي وجــوهَ الســالكينْ
يا حــروفَ الشــعــر لا تَصْطحــبي
لغــةَ الشــعــر إلى جُــرحي الدَّفينْ
ربما أحــرقــهــا الجــرحُ، فــمــا
صـــار للشـــعـــر فَمٌ يَروي الحنينْ
واتركـي لوعــــةَ قلبي، إنَّهـــا
تــارةً تقـــســــو، وتــارات تَلينْ
وادخلـي بي واحــــةَ العلم الـتي
فُــتــحتْ أبوابُهـــا للوافـــدينْ

عندها سوف نرى النَّبْعَ الذي
لم يزلْ يَشفي غَليلَ الظامئينْ
شيخُنا ما كانَ إلاَّ عَلَماً
يتسامى بخشوع العابدينْ
عالمُ السنَّةِ والفقهِ الذي
هَزَمَ اللهُ به المبتدعينْ
لا نزكّيه، ولكنَّا نرى
صُوراً تُلْحِقُه بالصادقينْ
في خيوط الشمس ما يُغني، وإنْ
أنكرتْها نظراتُ الغافلينْ
راحلٌ ما غاب إلا جسمُه
ولنا من علمه كنزٌ ثمينْ
ما لقيناه على دَرْب الهوى
بل على دَرْبِ الهُداةِ المهتدين
لكأني أُبصر الدنيا التي
بذلت إِغراءَها للناظرينْ
أقبلتْ تَعرض من فتنتها
صوراً تَسبي عقول الغافلينْ

رقـــصَتْ من حـــوله، لكنَّهـــا

لـم تجـــدْ إلا سُـــمـــوَّ الزَّاهـديـنْ

أرسل الشـــيخُ إليـــهـــا نَظْرةً

من عُــزوف الراكـعين السـاجـدينْ

فـــمـــضتْ خـــائبـــةً خـــاســـرةً

تتـــحـــاشى نظراتِ الشَّـــامـــتينْ

أخـــرجَ الدنيـــا مـن القلبِ، وفي

كـــفِّـــه منهـــا بلاغُ الـراحلينْ

لم يكنْ في عُـــزْلةٍ عنهـــا، ولم

يُغلقِ البـــابَ عـن المســـترشـــدينْ

غـــيـــرَ أنَّ القلبَ لم يُشْـــغَلْ بهـــا

كـــان مـــشـــغـــولاً بـربِّ العـــالمينْ

أوَمـــا أعـــرض عنهـــا قَـــبْلَه

ســـيِّـــدُ الخلقِ، إمـــامُ المرسلينْ؟

أيُّهـــا الشـــيخُ، لقـــد علَّمـــتنا

كيف نرعى حُـرْمَةَ المسـتضـعفينْ

كـــيف نَسْـــتَـــشْـــعِـــرُ من أُمَّـــتنا

صـــرخـــة الثَّكْلَى ودَمْعَ اللاَّجـئينْ

كــيف نبـني هِمَّــةَ الجــيل على

منهج التــقــوى، ووعـي الراشــدينْ

كنتَ يا شـــــيخ علـى علمٍ بما

نالـنا من غَـــفْلةِ المنهــــزمينْ

قـــومُنا ســـاروا على درب الرَّدَى

فـغـدوا أُلعـوبةَ المسـتـعـمـرينْ

شـــرَّقــوا حـــيناً وحـــيناً غـــرَّبوا

واستُبـيحتْ أرضـهم للغاصـبينْ

هـجـــروا الصَّـــالحَ من أفكارهم

فـتلقَّـتْـهم يدُ المسـتـشــرقينْ

وارتموا في حــضن أرباب الهــوى

من ذيول الغـاصب المسـتـعــربينْ

ضـيَّـعــوا الأقـصى وظنُّوا أنَّهم

ســوف يَحْظَوْنَ بِسِلْمِ المعــتــدينْ

فـــإذا بـالفـــارس الطفل على

هـامـــة المجـــد ينادي الواهـمينْ

صـاغـهـا ملحـمـةً قُـدْسـيَّـةً

ذكَّـــرتْنا بشـــمــوخ الفـــاتحينْ

قـــالهـــا الطفلُ، وقُلنا مـــعـــه

إنَّ بيعَ القــدس بَيْعُ الخـــاســـرينْ

أيُّهـــا الشـــيخُ الذي أهدى لنا

صُـــوَراً بيـــضـــاءَ من عِلْمٍ وديــنْ

لم تكن تغـــفل عن أُمَّـــتنا

وضــلالاتِ بَنيــهــا العـــابثينْ

كنتَ تدعـــوها إلى درب الهُـــدَى

وتناديهـــــا نداءَ المصلحينْ

قلتَ للأُمَّـــةِ، والبـــؤسُ على

وجـهـهـا الباكي غـبـارٌ للأنينْ:

إنما تغـــسل هذا البـــؤسَ عن

وجـهكِ البـاكي، دمـوع التـائبينْ

أيهـــا الشـــيخُ الذي ودَّعَنا

عـــاليَ الهـمَّـــةِ وضَّـــاح الجـبينْ

نحن نلقـــاك وإنْ فـــارقـــتَنا

في علومٍ بقـــيتْ للرَّاغـــبينْ

أنتَ كـالشـمسِ إذا مـا غَـرَبَتْ
أهدتِ البَـدْرَ ضـيـاءَ المُدلجينْ
أنتَ مـا ودَّعـتَنا إلاَّ إلى
حـيث تُؤْويكَ قلوبُ المسلمينْ
إنْ بكيناكَ فـإنا لم نزلْ
بقـضـاء الله فـينا مُـوقنينْ
في وفـاةِ المصطفى سَلْوَى لنا
وعـزاءٌ عن وفـاةِ الصـالحينْ
ذلك الـرُّزْءُ الذي اهتـزَّ له
عـمـرُ الفـاروقُ ذو العقل الرزينْ
مـاتَ خـيـرُ الناس، هـذا خَـبَـرٌ
ترك النـاسَ حـيـارى تائهينْ
طاشت الألبـابُ حـتى سـمـعوا
مـا تلا الصـدِّيق من قـولٍ مُـبينْ
لا يعـزِّينا عن الأحـبـابِ في
شـدَّةِ الهـول سـوى مَـوْتِ الأمينْ
إنهـا الرُّوح التي تسـمـو بنا
ويظلُّ الجـسم من مـاءٍ وطينْ

يحـــــــزن القـلـب ولـكنَّـا عـلـى

حُــزنه نَبني شــمــوخ الصــابرينْ

كلُّـنـا نفـنـى ويبـــــــقـى ربُّـنـا

خـــالق الكون مـــلاذُ الخـــائفينْ



رسالة الأشلاء

الرياض ١٢/٢/١٤٢٥هـ

«من أشلاء أحمد ياسين إلى من يطّلع عليه من المسلمين»

أسْكِتُوا صوتَ بُكاءٍ ونُواحِ

واثبتوا كالطَّوْدِ في وجه الرِّياحِ

اتركوني، واتركوا أشلاءَ جسمي

والدَّمَ المسفوحَ في أرضِ الكفاحِ

لِمَ تبكونَ على جسمٍ قعيدٍ

قيَّدَتْ رجليه آثارُ الكُساحِ؟

جسدٌ أصبحَ أشلاءً وطارت

نَفْخَةُ الرُّوح إلى أكرمِ ساحِ

قِطَعُ الجسم التي أبصرتموها

دُرَرٌ تُهدى إلى الأقصى المُبَاحِ

صورةُ الأشلاءِ ألفاظُ شموخٍ

عَبَّرَتْ للكونِ عن معنى انشراحي

أنا لم أشعرْ بصاروخ الأعادي

كان كالوخزةِ في ريشِ جناحي

إنْ أَمُتْ فــــالموتُ بـابٌ يتـــــلاقى

عـنـده الـوُرَّادُ مـن كـلِّ الـنَّـواحـي

مــاتَ قـبلي أنبـيــاءُ اللهِ، مــاتتْ

أُمَمٌ ذاتُ ســـــيـــــوفٍ ورمـــــاحِ

ســألوا التـاريخَ عن قَـتْلَى وجَـرحَى

وبـكـاءٍ وأنـينٍ وصـــــــيـــــــاحِ

اقــرؤوا تجــربتي، كُنْتُ قَـعـيـداً

فــوقَ كُــرسِّي غُــدوِّي ورَواحـي

لم تقفْ روحي وراءَ الجسم حَيْرَى

بل تعــدَّتْه إلـى كَــسْب النَّجــاح

اخـرجـوا من خنـدق الذُّلِّ وسـيـروا

بثـــبـــاتٍ وشـــمـــوخٍ وانفـــتـــاحِ

اتركــوا عنكم مُــلاحــاة الأعــادي

إنَّمــا يخــســر منكم مَنْ يُلاحـي

ضَـجَّـةُ الإعـلامِ فُـقَّـاعـاتُ وَهْمٍ

تَتَـــلاشى حين يُدْعَى للفـــلاحِ

زَأْرَةٌ واحـــــدةٌ مـن لـيثِ غـــــابٍ

يتــلاشى عندها صـــوتُ النُّبــاحِ

اســـألوا بابلَ عن وجـــهِ المثنَّى
واســألوا حطينَ عن وجــهِ صــلاحِ
يابني الإِســلام يا أحــفــادَ ســعــدٍ
وصُـــــهــــــيبٍ وبلالِ بنِ رَبَاحِ
قـيِّـدوا الحــزنَ بقــيــد الصّــبــر
حتى تُبصر العينُ تباشيرَ الصَّباح
أسـمِعُـوا عـشـاقَ دنيـاكم حـديثـاً
وانقلوا عنـا بألفــاظِ فِـــصـــاحٍ:
قَطْرةٌ من كـــوثر الخُلْدِ تســـاوي
كلَّ مــافي الأرضِ من مـــاءٍ قَــراحِ
لا تظنُّوا أَدْمُعَ العين ســتُــغني
مَنْ بكى، عن وَقْفةِ الحقِّ الصُّراح
إنما الدَّمْعُ بيـــانٌ عن جــــراحٍ
والبطولاتُ دَواءٌ للجـــــــراحِ
فـامسـحـوا أَدْمُعَكم واحـتسـبوني
واحملوا في ساحةِ الحقِّ سلاحي

وداع مرابط في قمم الشيشان

الرياض ١٤٢٥/٣/٢هـ

إلى ذكرى المجاهد «أبي الوليد الغامدي»

الذي اغتالته يد غادرة في قمم الشيشان:

هناكَ فوقَ جبالِ المجد كنتَ على

وعدٍ مع المجد، كان المجد مُحتفلا

قالوا: خلعتَ رداء الذُّلِّ، قلت: أَجَلْ

قالوا: وصلتَ، فقلت: الحُرُّ مَنْ وصلا

خرجت من شهوة الدنيا، وشُبُهتها

مجاهداً طَلَّق التَّسويف والكَسَلا

تركتَ أُمَّتَنا تطوي مَفَازتَها

إلى الوراءِ، ويرضى عقلُها الخَطَلا

تخوضُ لُجَّة أفكارٍ مُضَلَّلةٍ

وتمتطي من خيول الرأي ما هَزُلا

تركتها ورحى الأحداثِ تطحنها

وتطحن الحُلُم الورديَّ والأَمَلا

أَسْرَجْتَ عـزمك خيـلاً عزَّ راكبُـها

فـقـرَّبتْ لك بُعْـداً، وطَّأتْ جَـبَـلا

وأبلغـتْكَ مِن العليـاءِ مَـأْمَنهـا

هناك حيث ترى مِنْ تحتـها زُحَلا

أبا الوليـدِ، على الشيـشان ملحـمةٌ

تَروي لنا من حديث الصَّبر ما جَمُلا

تَروي لنا قـصـصاً عنكم تبشِّـرنا

تُعيد من هارب الأحلام ما جَفَلا

تقول: ما الموجُ، ما الإعصارُ حين تَرى

سـفـينةُ المجـد فيـهـا قـائداً بَطَلا

رأيتَ أنتَ سـهـامَ الظلم مُـشْـرَعَـةً

فيها، وأبصرتَ في ساحاتها خَلَلاً

رأيتَ مـجلسَ أمنِ القـوم خـوَّفـهـا

فكان أسـرعَ مَنْ عـادى ومَنْ خَـذَلا

وأغضت الهيئـةُ الشَّمْطاءُ مُقلتَها

عن كلِّ مَنْ ردَّد الدَّعوى ومَنْ قَتَـلا

ولامستْ سَمْعَك الأزديَّ صرختُـها

فـصـوَّرت لك منهـا خَطْبَـهـا الجَلَلا

لمَّا استغاثت بنا في ليلِ وحشتها

سبَقْتَ أنتَ إليها السَّيْفَ والعَذَلا

رَحَلْتَ تُرخي عِنانَ الحَزمِ في زمنٍ

شموخُ أُمَّتنا عن أرضها رَحَلا

لم تنعطفْ نحونا ترمي اللَّهيبَ لنا

كما رماه لنا مَنْ غيَّروا العَمَلا

مَنْ أوقدوا النَّار فينا، في مرابعنا

ومَنْ تنطَّعَ في إسلامه وغَلا

ومَنْ أثار لنا في كلِّ حادثةٍ

جُرحاً توغَّلَ في الأعماق واشتعلا

أبا الوليد كأنِّي بالرُّبى احتفلتْ

خِصْباً، وأهدَتْك من أزهارها حُلَلا

جبال قريتك الخضراءُ ما فَتِئَتْ

تَروي أحاديثها عن كلِّ ما حَصَلا

رأتْك في قمم الشيشان ممتطياً

عزماً يُبعِّد عنك الخوف والوَجَلا

فأقسمتْ أنَّك الأوْفى لها خُلُقاً

لمَّا تركتَ خصام الناسِ والجَدَلا

رَحَلْتَ عنهــا، ولو أنَّا نســائلُهــا
عـمَّنْ تحبُّ، لقــالتْ: ذلك الـرَّجُـلاَ

حيَّيْتُ فـيك أباكَ الشَّهْمَ حين بنى
حصناً من الصَّبـر بالإيمانِ واَحْتَمَلا

عــزَّيتُــه بعــد أن هنَّأتُه، فلقــد
رأيتـه عـاش فـيك الحُـزْنَ والجَـذَلا

هَنَّأْتُ أُمَّك، أرجـو أنْ تـراكَ وقــد
حَـــبَـــاك ربُّك في جـناته نُـزُلا

أبا الـوليـد، إن اغتـالوك مـغـتـرباً
مـرابطاً، فـشـمـوخٌ عندك اكـتـمـلا

يا ويلَ من غدروا، يا بُؤْسَ مَن خدعوا
ويا تـعـاسَـةَ من أوصى ومـن فَـعَـلا

سألتُ عنك سَحَابَ المجد: أين غدا؟
فكانَ خــيــرُ جــوابٍ: إنَّه هَطَلا

نعم هَطَلْتَ على أحــلامنـا مطـراً
بمائه العذب رَوْضُ الهِمَّة اغتسـلا

لولا شعور الأسى مِنْ غَدْر غـادرهم
لغَـرَّد الشـعـر بالأفـراح واحـتـفـلا.

يا فارسَ الكرسيّ

الرياض ١/٢/١٤٢٥هـ

عزاء إلى كل مسلم في وفاة الشيخ أحمد الياسين رحمه الله.

هُمْ أكسبوكَ من السِّباقِ رِهانا

فربحتَ أنتَ وأدركوا الخُسرانا

هُمْ أوصلوكَ إلى مُنَاكَ بغدرهم

فأذقتهم فوق الهوانِ هَوانا

إني لأرجو أن تكون بنارهم

لَمَّا رموك بها، بلغتَ جِنانا

غدروا بشيبتك الكريمةِ جَهْرةً

أبشرْ فقد أورثتَهم خذلانا

أهل الإساءة هُمْ، ولكنْ مادروا

كم قدَّموا لشموخك الإحسانا

لقب الشهادةِ مَطْمَحٌ لم تدَّخر

وُسْعَاً لتحمله فكنتَ وكانا

يا أحمدُ الياسين، كنتَ مُفَوَّهاً

بالصمت، كان الصمتُ منكَ بيانا

مـــا كنتَ إلا هِـمَّـــةً وعـــزيمةً

وشـمـوخَ صـبـرٍ أعـجـز العـدوانا

فـرحي بِنَيْلِ مُناك يمزج دمـعـتي

ببـــشـــارتي ويُخــفِّف الأحـــزانا

وثَّقْتَ باللهِ اتصـــالكَ حـــينمـــا

صلَّيْتَ فـجـــرك تطلب الغـفـــرانا

وَتَلوْتَ آياتِ الكتـــاب مـــرتِّلاً

مـــتـــأمِّـــلاً تتـــدبَّر القـــرآنا

ووضعت جبهتك الكريمةَ ساجداً

إنَّ الســـجـــود ليـــرفع الإنســـانا

وخـرجتَ يَتْبَعُكَ الأحبَّة، ما دروا

أنَّ الفـــراقَ من الأحـــبـــةِ حـــانا

كـرسيُّكَ المتحـرِّك اختـصـر المدى

وطوى بـك الآفـــاق والأزمـــانا

علَّمـتَــه مـعنى الإباءِ، فلم يكن

مـثل الكراسي الراجـفـاتِ هوانا

مـعك استـلذَّ الموتَ، صـار وفـاؤه

مَـــثَـــلاً، وصـــار إباؤه عنوانا

أشـــلاءُ كـــرسيِّ البطولةِ شـــاهدٌ
عَـــدْلٌ يُدين الغـــادرَ الخــوّانا
لكأنني أبصـــرت في عـــجـــلاته
أَلَمَاً لفـــقـــدك، لوعـــةٌ وحنانا
حُـــزناً لأنك قـــد رحلت، ولم تَعُـــدْ
تمشي به، كـــالطَّود لا تتـــوانى
إني لَتَـسـاًلُني العـدالةُ بعـد مـا
لقـيَتْ جـحـود القـوم، والنكرانا
هل أبصـرتْ أجفانُ أمريكا اللَّظَى؟
أم أنَّهـــا لا تملك الأجـــفـــانا؟
وعـــيـــون أوروبا تُراها لم تزلْ
في غـفلةٍ لا تُبـصـر الطغـيـانا
هل أبصـروا جسـداً على كـرسـيِّه
لـمَّـا تناثر في الصَّبـاح عِـيـانا؟
أين الحـضـارة أيهـا الغـرب الذي
جـعل الحـضـارةَ جـمـرةً، ودخـانا؟
عــذراً، فــمــا هذا ســؤالُ تعطُّفٍ
قـد ضلَّ مَنْ يسـتـعطف البـركـانا

هذا سـؤالٌ لا يجـيـد جـوابَه
مَنْ يعـبـد الأهواءَ والشـيطانا
يا أحـمـدُ اليـاسين، إنْ ودَّعـتنا
فلقـد تركتَ الصِّـدق والإيمانا
أنا إنْ بكيتُ فـإنَّمـا أبكي على
مليـارنا لـمَّـا غـدوا قطعـانا
أبكي على هذا الشَّـتـاتِ لأُمَّـتي
أبكي الخـلافَ المُرَّ، والأضـغـانا
أبكي ولي أمل كـبـيـرٌ أن أرى
في أُمَّـتي مَنْ يكسـر الأوثانا
يا فـارسَ الكرسيِّ، وجـهُكَ لم يكنْ
إلاَّ ربيـعـاً بالهـدى مُـزداناً
في شَعْـر لحيـتك الكريمةِ صـورةٌ
للفـجـر حين يُبـشِّـر الأكـوانا
فَرِحَتْ بك الحورُ الحسـانُ كـأنني
بك عندهنَّ مُـغَـرِّداً جَـذْلانا
قـدَّمْتَ في الدنيـا المهـورَ وربَّمـا
بشـموخ صـبرك قد عقدتَ قِرانا

هـذا رجـــائـي يا ابنَ ياسـينَ الـذي

شـــيَّـــدتُ في قلبي لـه بنيـــانا

دمُـكَ الـزَّكـيُّ هـو اليـنـابيـع الـتـي

تسـقـي الجـذور وتنعش الأغـصـانا

روَّيتَ بســـتـــانَ الإبـاءِ بدفـــقــهِ

مـــا أجـمـل الأنهــارَ والبـــســـتـانا

سـتظلُّ نجـمـاً في سـمـاءِ جـهـادنا

يا مُـقْـعَـداً جـعل العـدوَّ جـبـانا



قَلْعَةُ العِلْم

الرياض ٢٧/١/١٤٢٠هـ

«مع العزاء الصادق إلى كل مسلم»

خَفَقانُ قلب الشعر، أم خَفَقاني
أم أنَّه لَهَبٌ من الأحزانِ

ماذا يقول محدِّثي؟ أحقيقةٌ
ما قال، أم ضَرْبٌ من الهَذَيانِ؟!

ما لي أرى ألفاظَه كحجارةٍ
ترمي بها الأفواهُ للآذانِ؟

«الشيخُ مات» عبارةٌ ما خِلْتُها
إلا كصاعقة على الوجدانِ

أو أنَّها موجٌ عنيفٌ جاءني
يقتاد نحوي ثورةَ البركانِ

يا ليتني استوقفتُ رَنَّةَ هاتفي
قبل استماع نداءِ مَنْ ناداني

أو أنني أغلقتُ كلَّ خطوطه
متخلِّصاً من صوته الرنَّانِ

«الشيخ مات» أما لديك عبارةٌ

أخرى، تُعيد بها اتّزانَ جَناني

قل لي ـ بربِّك ـ أيِّ شيءٍ، ربما

أنقذتَني مِنْ هذه الأشجانِ

قل لي ـ بربِّك ـ أيَّ شيءٍ، قال لي

عجباً لأمركَ يا فتى الفتيانِ

أنسيتَ أنَّ الموت حقٌّ واقعٌ

ونهايةٌ كُتِبَتْ على الإنسانِ؟!

أنسيتَ أنَّ اللهَ يبقى وحدَه

وجميع مَنْ خلق المهيمنُ فَانِ؟

أنسيتَ؛ لا والله لكني إلى

باب الرَّجاء هربتُ من أحزاني

«الشيخ مات»، صدقتَ، إني مؤمنٌ

بالله، مجبولٌ على الإذعانِ

الشيخُ، لا بل قَلْعَةُ العلم التي

مُلِئَتْ برأي صائبٍ وبيانِ

هو قَلْعَةُ العلم التي بُنيَتْ على

ثقةٍ بعون الخالق المنَّانِ

وأمــامــهــا هُزِمَتْ دعــاوى ملحــدٍ
وارتــدَّ مــوجُ البــغي والبــهــتــانِ
وتطايرتْ شُــبَــهُ العــقــول لأنَّهــا
وجــــــدتْ بـنـاءً ثابـتَ الأركـــــانِ
أَنِسَتْ بهـا نَجْـدٌ، ومَـهـبِطٌ وحـينا
واسـتـرشـد القـاصي بهـا والـدَّاني
هـو قَلْعَــة ظلَّت تُحــاط بروضــةٍ
خــضــراءَ مِنْ ذكــرٍ ومِنْ قــرآنِ
صــانَ الإلهُ بهــا عــقــيــدةَ أُمــةٍ
في عــصــرنا المتـذبذِب الحـيـرانِ
مـاذا تقـول قـصـائدُ الشـعـرِ التي
صــــارتْ بلا ثغـــــرٍ ولا أوزانِ؟!
مــــاذا تقــــول عن «ابن بازٍ» إنهـــا
ســتظلُ عــاجـزة عن التِّـبـيــانِ؟
مـاذا تقـول عن التـواضُعِ شـامـخـاً
وعـن الشــمــوخ يُحــاط بالإيمانِ؟
مـاذا تقـول عن الـسَّـمـاحـةِ والنُّهَى
عن فــقــه هذا العـــالم الرَّبَّانـي؟

مـاتَ «ابنُ بازٍ» للقـصـائد أنْ تَرى

حُــزْنَ القلوبِ، وأدمُعَ الأجــفــانِ

في عـيْنِ «طَيْـبَـةَ» أدمعٌ فـيَّـاضـةٌ

تَلقى دمـــوعَ الطائفِ الولهـــانِ

«والخرجُ» تسـألُ و«الرياضُ» و«مكةٌ»

عن قــصَّــةٍ مــشــهـورة العنوانِ

عن قــصــة الرجل الذي منَحتْ له

كلُّ القلوبِ مــشــاعــرَ اطمــئنانِ

مــا زلتُ أذكـرُ صـوتَه يسـري إلى

أعـــــمـــــاقنا بمودَّةٍ وحنـانِ

يُفـتي وينصح مـرشـداً ومـوجِّـهـاً

ومـــعـلِّـمـــاً للنـاس دونَ تَوانِ

«نورٌ على الدّرب» ارتوى من فـقـهـه

وســرتْ منـابعُــه إلى الظمــآنِ

يا ربِّ قــد أصــغتْ إليكَ قلوبُنا

وتعـلَّقتْ بك يـا عظيـمَ الشَّـــانِ

«الشيخ ماتَ»، عليه أنْدَى رحمةٍ

وأجلُّ مغفرةٍ من الرحمنِ

❖ ❖ ❖

ماذا تقولُ، وألفُ سهم سُدِّدتْ

في قلبها المتلهِّف العطشانِ

ماذا تقول، ولم تُعدْ كلماتُها

تقوى على السَّريَانِ فوق لساني

ماذا تقول قصائد الشعر التي

فُجِعَتْ بفقدِ أبٍ جليلِ مكانِ



مهدي ابن سَحَّاب

الرياض ١٤٢٢/٣/٣هـ

«وقفة شعريّةٌ بين مَرْحلتين»

قامةُ القريةِ تَمْتَدُّ احتراما

وغصونُ الشجر الأخضرِ....

تهتزُّ سلاما

حينما يمتزج الفجرُ بصوتٍ صارخٍ.....

يدعو النِّياما

حينما يصرخ «مَهْدي»

ذلك الشَّهْمُ الذي لم يدَّخرْ وُسْعاً...

ولم يبخلْ بجُهدِ

زَنْدُه زَنْدُ بعيرٍ...

هكذا قال الرُّواة

طُرُقات القريةِ امتدَّتْ بساطاً سُنْدسيّاً...

يزدهي حين يراهْ

أصبحتْ تشتاق أن تمشيْ عليها قَدَماهْ

أدمنتْ وَقْعَ خُطاهْ

أقسموا أنَّ طريق الشَّعبِ تهتزُّ....

إذا سار عليها

أقسموا أنَّ المواشي تتراخى...

حينما يدنو إليها

إنَّه «مَهدِيْ ابنُ سَحَّابٍ»......

هلاليٌّ البطولهْ

هو رَمْزُ القريةِ الأوَّلُ في معنى الرُّجولَهْ

هو مفتولُ الذِّراعينِ عريضُ المنكبينْ

واسعُ الجبهةِ كَثٌّ الحاجبينْ

مستديرُ الوجهِ، كَثٌّ اللحيةِ السَّوداءِ...

مفتولُ اليدينْ

إنه «مهدي ابنُ سحَّابٍ»........

له عَزْمٌ أكيدْ

وله قَلْبٌ كجلمودٍ من الصَّخْرِ......

وإحساسٌ حَديدْ

وله عينانِ حَمْراوانِ من فوقهما جَفْنٌ شديدْ

لم يكن منطويَ القلبِ على خُبْثِ السَّريرَهْ

هو شَهْمٌ، هو عملاقٌ شديدٌ...

هو حصنٌ للعشيرَةْ

هو بابٌ مغلَقٌ في وجه أَنذالِ البَشرْ

هو كالسيل إذا جادتْ به السُّحْبُ.....

وفي الوادي انحدَرْ

قلبُه الطيِّب يغدو ـ حينما يغضب ـ......

من جنس الحجرْ

عينُه كالجمرة الحمراءِ، في وقت الغَضَبْ

كم رمى خصماً على الأَرضِ وأَدْمَى وضربْ

ولكم صارع قِرْناً وغلبْ

هو لا ينفر من شيءٍ كما ينفر من سوء الأَدَبْ

جسمُه الملفوفُ يُوحي..

أنَّه جِسْمُ بطلْ

يَدُه الشَّثْنَةُ رَمْزٌ للعملْ

هو لا يعرف معنىً للكسلْ

زادُه خبزٌ من البُرِّ وسَمْنٌ وعَسَلْ

هو لا يشرَبُ إلاَّ لَبَنَ الشِّكْوَةِ.....

والماءَ من البئر التي تَسقي القبيلهْ

هو لا يقبلُ إلاَّ عادةَ القوم الأَصيلَهْ

هو لا يرضى بأنْ يُبصر في القريةِ عادات دَخيلَهْ

إنه "مهدي ابنُ سحّابٍ" له طَلْعَةُ فارسْ

هو في البيت وفي الوادي عصاميٌّ وحَارسْ

زَنْدُه زَنْدُ بعيرْ....

هكذا قالوا... وفي صرخته رَعْدٌ وأوصافُ هديرْ

رِجْلُه خُفُّ جَمَلْ

كفُّه كفُّ عَمَلْ

هو لا يعرف معنىً للوجَلْ

حينما يضحك يهتزُّ كما تهتزُّ أكتافُ جَبَلْ

إنه «مهدي ابنُ سحَّابٍ» قريبُ الدَّمعِ.....

لمَّا يتألَّمْ

كم بكى حزناً على مَنْ فارقوا الدنيا وهَمْهَمْ

ولكم زار مريضاً فبكى....

حتى يظنَّ الناسُ أنَّ الجبلَ الضَّخْمَ تحطَّمْ

هو لمَّا يسرح الوادي...

يغنِّي بعض أشعار الزَّجَلْ

صوته يصبح ـ من رقَّته ـ أجملَ صوتٍ للغزلْ

كان يُشجي كلَّ قلبٍ...

حينما ينسابُ في ترجيع «ألحانِ الجَبَلْ»

إنني أذكره يرسم في القريةِ وَجْهاً للإباءْ

كان يَمشي مِشْيَةً تنكرُ سَيْرَ الضعفاءْ

رجلٌ ما كان إلاَّ من أعاجيبِ الرِّجالْ

لم يكن ذا منصبٍ في الناس أو صاحبَ مالْ

إنَّه «مهدي ابنُ سحَّابٍ» ويكفيكَ المقالْ

مرَّت الأيامُ...

لا، بل ركضتْ ركْضاً عجيبا

لم تدعْ في رَكْضها شيئاً قريبا

جرَّت الناسَ....

ولم تتركْ لأهل الدار في الدار نَصيبا

مرَّتِ الأيامُ تَتْرَى

كُلُّ شَهْرٍ لم يَعُدْ يَلْحَقُ شَهْرا

ورياحُ «الطَّفْرَةِ» اجتاحتْ من القرية شَطْرا

ومن العاداتِ شَطْرا

ومن الأخلاق شطرا

ومن الراحةِ في الأنفُسِ شَطْرا

مَرَّتِ الأيَّام تَتْرى

سنةٌ تحصد أخرى

غيَّرتْ قريَتنا وَعْياً وإحساساً وفكرا

غيَّرتْ زَيْداً، ولم تتركْ على ما كان عَمْرا

أين ذاك الرَّجُلُ الشَّهْمُ الذي يرفع رأْسَهْ؟

أين مَنْ يخشى عُصاةُ الناس بأْسَهْ؟

أين مَنْ كان يَهُزُّ الأرضَ هَزّاً...

ويثير الرُّعْبَ فيها حينما يحمل فَأْسَه؟

أين ذاك الرجل المفتولُ عَزْماً وبطولَهْ؟

أين مَنْ يرفع ميزانَ الرَّجولَهْ؟

أين مَنْ لا يعرف الخوفَ ولا ينسى أُصولَه؟

أهو في الوادي وراءَ السَّانيَةْ؟

يحرث الأرضَ على مَرْأى الغصون الدانيَهْ؟

أم هو الآنَ على أطراف تلك الرابيَهْ؟

يَطْرُدُ الغربانَ عن مزرعةِ التينِ...

ويَستوقفُ ماءَ السَّاقيَهْ؟

أين مَنْ قلتم «له زَنْدٌ كما زَنْد البعيرْ»؟

أين من يقفز كاللَّيثِ إذا صاح النَّفيرْ؟

أين من تقدح عيناه الشَّرَرْ؟

أين مَنْ يُقدِمُ لا يخشى الخَطَرْ؟

ويحَكم، ما بالُكم لا تنطقونْ؟

عجباً، ماذا ترى عينايَ؟

دَمْعٌ في الجفونْ؟!

ويحَكم... باللهِ قولوا، أين مَهْدي؟

إنَّه يا قومُ جَدِّي

سكت القوم وما أقسى السكوتْ!

حينما يحمل معنى الحزنِ....

ما أقسى السكوتْ!

سكت القومُ، وكان الصَّمْتُ قصَّهْ

تسرد الحزنَ على قلبي....

وقلبي فيه غُصَّهْ

أين مَهدي؟...

هو في دار النَّقاهَة

ويحكم، أَقصدُ جَدِّي؟!

هو في دار النقاهَة

ويحكم، وانصرفوا عني وفي عقلي ذُهولْ

فتوّجَهّتُ إلى الدار وأَزْمَعْتُ الدُّخولْ

حينَها امتدَّتْ على «الباحةِ» أطيافُ الأصيلْ

وأنا أستجمع العزمَ الذي صار...

إلى الضَّعْفِ يميلْ

أين مَهْدي؟!

قال لي: في الغرفة اليُمْنَى وفي الرُّكْنِ اليمينْ

وتقدَّمْتُ...

وفي قلبي اشتعالاتُ أنينْ

يا إلهي، يا أَمَانَ الخائفينْ

إنَّ عيني لا ترى إلاَّ بقايا من حُطَامْ

يا رعاكَ اللهُ يا جدِّي الهُمام

كيف أضحى ذلك العملاقُ كالعصفور في هذا المقامْ؟!

كيف أضحى زَنْدُه المفتولُ كالعودِ..

وما هذي العظام؟!

أوَما كانت له عينان حَمْراوانِ.......

من دونهما جَفْنٌ شديدْ

يا إلهي....

صارتا تُقْبينِ محفورينِ في غارٍ بعيدْ

حينما حَيَّيْتُ حيَّاني بعينٍ باكيهْ

أرسلتْ نظرتَها نحوي جفوناً واهيَهْ

ربما كانت أنيناً وجراحاً خافيَهْ

آهِ يا جدَّاه، ما هذي الرِّياح العاتيَهْ

❖ ❖ ❖

أيُّها السائلُ مَهْلاً، وتأمَّلْ ما جرى

إنَّها الأعوامُ تسري مثلما الطَّيْفُ سرَى

إنها الأعوامُ.......

كم من حاضرٍ غابَ، وكم من غائبٍ عنَّا حَضَرْ

إنها الأعوامُ........

كم جيلٍ تلاشى واندثَرْ

نقلتْ مَهْدي بنَ سحَّابٍ كما تَنْقُلُ آلافَ البشر

شَعره الأسودُ غطَّاه بياضٌ وانحسَرْ

جسمُه الملفوفُ هدَّته الليالي فانصهَرْ

ظهرُه أصبح كالعرجونِ والوجهُ ضَمَرْ

صوتُه أصبح لا يُسْمَعُ إلاَّ مَنْ دَنَا ممَّن حَضَرْ

إنَّها الأعوامُ.....

مَنْ يسلمْ من الموتِ فلن يسلمَ مِنْ ضَعْفِ الكِبَرْ

ليت شعري ـ يا أخا جدِّي ـ.......

إلى أين المسيرْ؟

يا تُرى.... هل أنتَ مَهديْ أيُّها المُقْعَدُ في هذا السريرْ؟

أنتَ ذاك الرجلُ العملاقُ ذو الصوت الجَهيرْ؟

أنتَ مهدي؟ رُبَّما.... لكنني أُقْسِمُ ما أنتَ لنا إلاَّ نذيرْ

ليت شعري ـ يا أخا جدِّي ـ ...

إلى أين المسيرْ؟

لم يُجبْني....

إنما قال لسانُ الحقِّ: هذي رحلةُ الناسِ...

إلى ربٍّ غفورْ

«أسود الشيشان»

الباحة - عراء ١٤٢٢/٤/٢٦هـ

«أنشودةٌ لأعراس الشهادة»

أأخـا الجـهـادِ، وللجـبـالِ رَنينُ

ممـا تـراه، ولـلـقـلـوب أنـينُ

ولكلِّ وجـهٍ بالتـرابِ مـعـفَّـرٍ

شَـفَـةٌ تقـول: دَمُ التَّـقـيِّ ثَمينُ

ولكلِّ عينٍ أرسلتْ عَـبـراتِهـا

نظراتُ حُبٍّ، كلُّهنَّ شـجـونُ

ولكلِّ سـهمٍ في المعـارك نافـذٍ

صـوتٌ يردِّد: خِـبْتَ يا لِيْنيْنُ

ولكلِّ رشَّـاشٍ حـديثٌ صـادقٌ

يشـقى بصـدقِ حـديثـه «بُوتينُ»

أأخا الجهادِ، فَمُ القصيدةِ لم يَزَلْ

يشـدو، وطَالعُ لحنِهـا مـيـمـونُ

لـمَّـا رآك الشـعـر هزَّ حـروفَـه

طرباً، وطاوعتِ الحـروفَ لحُـونُ

رفعت إليكَ الصّافناتُ رؤوسَها
وتطامَنَتْ منها إليكَ مُتونُ

اركبْ خيولَ المجد، إنَّ ظهورَها
حِصْنٌ لحرّاس الثغور حَصينُ

واصعدْ بها قِمَمَ الشموخِ، فإنَّما
بجهادِ مثلكَ، رَكْضُهنَّ يَزينُ

أأخا الجهاد، خرجْتَ من سجن الهوى
يا بُؤْسَ مَنْ هو في هواه سَجينُ

طلَّقْتَ وَهْم الغافلين وإنما
غرَّتْ قلوبَ الغافلين ظُنونُ

وخرجْتَ من سجن التوجُّس، إنما
يشكو التوجُّس خائفٌ مفتونُ

ما زلتَ تُسعدنا بهمّتك التي
ما عاد ينفَع عندها التَّخمينُ

سطَّرْتَ في قمم الجبال بطولةً
مَنْ لم يسطِّرْ مثلَها مغبونُ

سَعِدَتْ بها الشيشانُ وهي حزينةٌ
قد يسعد الإنسانُ وهو حزينُ

ماذا تقول خُطاكَ في جُنْحِ الدُّجَى

مـــاذا يقـــول الجـــوهـرُ المكنونُ؟

النَّصْــرُ أو عُــرْسُ الشـهـادةِ دونَه

فكلاهمـا للمـتَّـقي مـضـمـونُ



آه يا إيمان

جده – الكندره ١٤٢٢/٢/١٥هـ

مع التحية إلى براءة الطفلة «إيمان حجو»، وعزاءً صادقاً لأهلها ولكل طفل فلسطيني.

أَيُّ ذئبٍ خائنٍ أيُّ قَطيعْ

أيُّ غَدْرٍ في روابيها يَشيعْ؟

أَيُّ جرحٍ في حِمَاها نازفٍ

أيُّ مأساةٍ، لها وجهٌ مُريعْ؟

أَيُّ عصرٍ، لم يزلْ قانونُه

يمنحُ العاريَ ثوباً مِنْ صَقيعْ؟

يمنحُ الجائعَ رَكْلاً في القَفا

صائحاً في وجهه، كيف تجوعْ؟!

يمنَعُ العطشانَ مِنْ منبعه

وإذا حاوَلَ، أسقاه النَّجيعْ

أيُّها السائل عمَّا أشتكي

مِنْ لظى الحزن الذي بين الضُّلوعْ

لا تسلْ عن جَـذْوةٍ أشـعلهـا
ظالمٌ يقـتل أزهارَ الرَّبيعْ
لا تسلني، واسـأل الغَـرْبَ الذي
يأمـر اللَّيلَ بإطفـاء الشـموعْ
ينقض العَـدْلَ بحقٍّ النَّقض في
مـجلسٍ يعـجـز عـمَّـا يستطيعْ
اسـأل الغَـرْبَ الذي واجـهَنا
مـنـه قـلـبٌ بـالأبـاطـيـلِ وَلُـوعْ
قل له: مـهـلاً فـقـد بَانَ لنا
فَـشَلٌ في نُصـرة الحق ذَريعْ
أَنْـتَ لـلبـاغي يَـدٌ ممدودةٌ
ليتَ شِعْري، أين أَخلاق «يَسُوعْ»؟!
أيُّهـا السـائل عُـذْراً، فـأنا
أُبصـر الأطفـالَ مِنْ غـيـر دروعْ
واجـهـوا الحـربَ كـمـا واجـهَـها
ابنُ عـفـراءَ، وسـعـدُ بن الرَّبيعْ
وأرى دبَّابةً غـاشـمـةً
حـولهـا أَلْفُ جـريحٍ وصـريعْ

وأرى سِـــرْبَ قـــرودٍ خَلْفَـــهـــا

ووراء السِّـــربِ، خنزيرٌ وَضـــيعْ

لا تسلْني عن حــقــوقٍ لم تزلْ

بين تجَّـــار الأباطيلِ تضـــيعْ

لا تسلْني عن يدٍ راجـــفـــةٍ

لم تزلْ تَشـــري أســاها وتبـــيعْ

لا تسلْ عن واحـةِ الصَّـمت التي

ضـاقت التُّـربةُ فيـهـا بالجـذوعْ

يا لهَـــا مِنْ ليلةٍ حـــالكةٍ

نسـيتْ أنجـمُـهـا مـعنى الطُّلوعْ

رسم القَـصْفُ لهـــا خـــارطةً

بَعْـــد أنْ مَـــرَّ مِنْ اللَّيل هَزيعْ

كـــانت الأُســـرةُ في منزلهـــا

تَرْقُب الفجـرَ، وفي الأحشاءِ جُوْعْ

طفلةٌ مُنْـذُ شـــهـــورٍ وُلِدَتْ

بين جدرانٍ مَشَتْ فيها الصُّدوعْ

أُمُّـــهـــا تنتظر الزوجَ على

شـاطئ الذكرى بأحـلام الرُّجـوعْ

تُرضع الطِّفلةَ مِنْ ثَدْيِ الأسى
في مساءٍ فاقدٍ معنى الهجوعْ
أغلقت باباً على مزلاجِهِ
بَصْمةٌ دَلَّتْ على الجُرْمِ الفظيعْ
مَنْ تُنادي، وإذا نادتْ، فَمَنْ
يَكْشِفِ الغفلةَ عن هذي الجموعْ؟!
يا لها من ليلةٍ ماجت بها
وبما فيها مِن القَصْفِ الربوعْ
غارةٌ جوِّيَّةٌ أشعلها
ظالمٌ مُسْتَوْغِرُ الصَّدر هَلُوعْ
صارت الدَّارُ بها دارَ أَسَىً
واشتكى من جَدْبِهِ الرَّوض المَريعْ
فشرابُ الطِّفلِ ماءٌ آسِنٌ
وطعامُ الأُمِّ فيها مِنْ ضَريعْ
أين منها مجلس الخوف الذي
لم يردِّدْ ـ بَعْدُ ـ أفعالَ الشروعْ؟!
غارةٌ جوِّيةٌ وانكشفتْ
عن ضحايا شربوا السُّمَّ النَّقيعْ

غـــــارةٌ، وانكشـــــفتْ عن وردةٍ

كـان مِنْ أشـلائهـا المِسْكُ يَضُـوعْ

آهِ يـا إيمـانُ مِـنْ أُمَّـــــــتنـا

لـم تزلْ تَجْـتَنِبُ الدَّرْبَ الوَسِـــيعْ

صَلَّتِ الفَـرْضَ صــلاةً جَـمَـعَتْ

كلَّ مـا في نفسهـا، إلاَّ الخُـشـوعْ

أصـبـحتْ تَسْـأل عن مـوقـعـهـا

بعـد أنْ حطَّم رجليـهـا الوقـوعْ

حُـسِمَ الأمــرُ ومـــا زالتْ على

وهـمـــــهـــــا بين نـزولٍ وطُلوعْ

كـيف ترجـو الخـيـرَ ممَّن يَقـتـفي

أثَـرَ المـظـلـوم، بـالـظُّـلـم الشَّـنـيـعْ

ويُـريـنــا كـلَّ يـومٍ صـــــــــورةً

حـيَّــة فـيــهــا إلى البـغي نُزُوعْ

يَـمـنـحُ الأُمَّ الـتـي أثْـكـلَـهــــــا

قَـسْـوَةً تَسلُبُ عـينيـهـا الدُّمـوعْ

إنـه الغَـــدْرُ اليـــهـــوديُّ الذي

لم يـزلْ يضــربنـا الضَّـرْبَ الوَجـيـعْ

آهِ يـــا إيمــــانُ، يـــا راحــــلــــةً

قــبل أنْ تُكملَ سُـقـيـاها الضُّـروعْ

أنتِ كـالشـمس التي غـيَّـبـهـا

ليلُهــــا قَــــبْلَ بداياتِ السُّطوعْ

أنتِ كــــالـنَّجــــمــــةِ لمَّا أَفَلَتْ

قــبل أنْ يسـتكملَ الضـوءُ اللُّمـوعْ

أطلقـوا نحَـوكِ صـاروخـاً فـيـا

خَـجْلَةَ القَـصْفِ مِنْ الطفل الوَديعْ

لا تظنِّـي أُمَّــتي خــاضــعــةً

هيَ يا إيمانُ، في صُلبِ الخـضـوعْ

دَمُكِ الغـــالي بيـــانٌ صـــارخٌ

فارفعي الصوتَ ، وقولي للجميعْ:

يا ضَـيـاعَ العَـدْلِ في الأرضِ التي

تَرتضي أَنْ يُقْـتَلَ الطِّفلُ الرَّضـيعْ



أسَدُ الشيشان

الرياض ١٤٢٣/٢/٢٠هـ

لم تلتقِ الأجساد، ولكنَّ أخبار بطولاته «المشرقة» لم تنقطع، وكان سلامه يصلني ـ قبل سنوات ـ عن طريق بعض المتصلين بي هاتفياً... ممَّن لا أعرفهم بأشخاصهم، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يعرفهم، المجاهد «خَطَّاب» أسدٌ مسلمٌ عربي حالت «حفنة» السمِّ القاتل بينه وبين جبال الشيشان.... يرحمه الله.

عرفتُكَ، ما عرفتُك من قريبِ

ولكنَّ التعارُفَ بالقلوبِ

وكم يحظى الفتى بالحبِّ منَّا

على بُعْدٍ، ويُوصَفُ بالحبيبِ

أيا خطَّابَ أُمَّتنا التقينا

على حُلُم المجاهدِ، والأديبِ

تلاقينا بأرواحٍ، هَداها

إلى الإسلامِ علاَّمُ الغُيوبِ

إذا رُفع الأذانُ لها تسامتْ

بإحساسِ المنادي والمجيبِ

تلاقـــينا بأفـــئـــدةٍ عِطَاشٍ

إلـى حُـــــــورٍ وجنَّـاتٍ وطيـبِ

لهـــا نَبْضٌ يكاد يذوب وَجْـــداً

بما للشـوقِ فـيـهـا من لَهـيبِ

قلوبٌ يا أخـا العَــزَمـاتِ يبـقى

لهـا من صِـدْقِـهـا أَوْفَى نَصـيبِ

نعم، واللهِ لن تلقى مُـــحـــبّـــاً

لغـــيـــر الله يثــبت في الدروبِ

قــريبٌ منْ مــشــاعــرنا قــريبٌ

فــيــا فــرحَ المشــاعــرِ بالقــريبِ

لئن بعُـــدَتْ بك الأحـــداث عنَّا

ولـم تُمْـــــهِلْكَ أهـوال الخُطوبِ

فـــإنك لم تـزلْ بالذكـــر حــيّـــاً

وبالعَـــزَمـــاتِ والرأي المُصـــيبِ

تلاقـــينا علـى واحـــاتِ حُبٍّ

ســـقـــاها هاتِنُ الغَـــيْم السَّكُوبِ

وفَـــرْقٌ بينَ مـــاءِ الغـــيثِ، يَهْـــمي

وبـين المــاءِ يُـنْــزَحُ مِـنْ قَـلـيــبِ

وفَـــرْقٌ بين قـــافـــيــــةٍ تغنَّتْ

بأمــجــادي، وقــافــيــةٍ لَعُــوبِ

إلى خَطَّاب أُمَّـــتِنا التَّـــحــــايا

من القِـمَمِ الشَّـواهق والسُّـهوبِ

مِنْ الهِـمَم التي عـرفـتْـه طفـلاً

ومِنْ رَوْضِ المروءاتِ الخَـصــيبِ

ومِن ذَرَّاتِ كُـثْـبـانِ الصَّـحـارى

إذا زحـفَـتْ بهـا كفُّ الهُـبــوبِ

من النخل البَــواسقِ، من عُــذوقٍ

ومن سَـعَفٍ يلُوح ومِنْ عَـسـيبِ

جـبـال «الهِنْدكُـوشِ» رأتْك لَيْـثـاً

يُعلِّم صَـعْـبَـهـا لُغَـةَ الوثوبِ

وداغُـســتــانُ مَـدَّتْ راحـتـيـهـا

بفـيضٍ مِنْ مـشـاعـرها عـجـيبِ

وفي الشـيـشـانِ ناديتَ المعـالي

بصـوتٍ ليس عنهـا بالغَـريبِ

سـقَـيْتَ ربوعَـهـا بدمـوع صَبٍّ

بكى مِنْ حــال عــالمنا المُريبِ

تداعى الآكلونَ، فليت شـــعـــري

أنردَعُــهم بتــمــزيقِ الجــيــوبِ؟!

وهل نلقى التــآمُــرَ بالتـغــاضي

ونَخْلُصَ بالعــيــوبِ مِن العــيــوبِ؟!

ومـــا نســـعى إلى حـــربٍ، ولكنْ

إذا فُــرِضَتْ صَـبَــرْنا في الحــروبِ

وألحْـــــقَنَــا الأوائلَ بالتـــــوالي

وأبرقَ حَــدُّ صــارمِنا الخَــضــيبِ

ولو أنَّ العَـــــدوَّ يُريد سِلْمَـــــاً

لقـــابَلْناه في رَوْضٍ قَـــشـــيبِ

وألْبَـــــسْنَاه ثوباً من أمَـــــانٍ

وظلَّلْناه بالغـــــصن الرَّطيبِ

ولكنَّ العـــــدوَّ يُريدُ حـــــرباً

مُــسَــمَّــمَــةَ المَخــالبِ والنُّيــوبِ

إذا نَطَق الرَّصــاصُ فــلا تَسَلْني

عن الخُطَبِ البليــغــةِ والخَطيبِ

رعـــاكَ اللهُ، لم تَجْنَحْ لخـــوفٍ

يُذوِّب هِمَّـــــــةَ الرَّجُلِ الأريبِ

بإحــدى مــقلتــيكَ رأيتَ قلبــاً
جــريحَ النَّبْضِ مــخنوقَ الوَجــيــبِ
وبالأخـــرى رأيــتَ مِن الأعـــادي
مـــؤامـــرةً على الوطن السَّليبِ
رأيتَ المسلمـــاتِ مُـــشـــرَّداتٍ
كــقُطْعَــانٍ من الإبل «العَــزيبِ»
يصـــــوِّرُهنَّ إعـــــلامُ المآسي
ليــعــرضــهنَّ في خَــبَــرٍ غــريبِ
ومـــاذا يعـــرض الإعـــلامُ، إلاَّ
وجـــوهاً تشـــتكي ألَم النُّدوبِ
رأيتَ الجــرحَ أكــبــرَ من طبــيبٍ
ومن تشـخيصِ أجهـزةِ الطبــيبِ
فــأطْلَقْتَ العــزيمةَ من عِــقَــالٍ
يقــيِّــدُها عن السَّــعْي الدَّؤُوبِ
دعــاكَ إلى الجــهــادِ بكاءُ طفلٍ
ومــا أبصــرتَه من غــدرِ «ذيبِ»
رأيتُك، والـرياحُ تَهُبُّ غـــربـاً
تَمــيلُ إلى الشُّــروقِ عن الغـروبِ

وتبـصـر في طريق المجـد شـمـسـاً
مُـــبـــرَّأةَ الـضِّـــيـــاءِ من المَغـــيـبِ
رأتْ عـيناكَ فـجـراً مـسـتـضـيئـاً
يُزيل غـــيـــاهبَ الليلِ الكئـــيبِ
فـأركَـضْتَ الخـيـولَ إليـه حـتى
أضَـأْتَ بَشـاشـةَ الـوَجـهِ الغَـضُـوبِ
إذا حَـمِيَ «الوَطيسُ» فـسـوف يبـدو
لنا الـرجلُ الصَّــدوقُ من الكَذُوبِ
تقــول لك الجــبــالُ الشُّمُّ: أقْـبِلْ
بعـــزمِ الفـــارسِ الحّـــذِرِ اللَّبـــيبِ
ومـا خَـشِـيَتْ عليكَ مِنْ الأعـادي
ولكنْ مِنْ خـــيـــانةِ مُـــســـتـــريبِ
ومِنْ غَــــــدْرِ المنـافق حـين يَلْوي
عـمـامـةَ خـائنٍ يومَ «الضَّـريبِ»
لَوَ أنَّ السُّمَّ يعـــرف مـــا عـــرفنا
لقـــال لخُطَّةِ الأعـــداءِ: خـــيـــبي
أخـا العَـزَمـاتِ، إنَّا قـد صَـبَـرْنا
ولـم نَجْنَحْ إلـى لُغـــةِ الـهُـــروبِ

بكتْكَ يتــيــمــةٌ وبكتْ سَـبَـــايا

يَـرَيْنَ الحـــربَ دائمـــةَ النُّشــوبِ

يَـرَيْنَ الفـــجـــرَ أَسْــوَدَ بالمآسي

وتُؤْذيهـنَّ أصـــواتُ النَّعــــيبِ

أُعـــزيهنَّ فـــيكَ ذَرَفْنَ دمـــعـــاً

سَــقَـــيْنَ بوَبْلِه شَـجَـرَ النَّحــيبِ

أُعـــزِّي فــيكَ أُمَّــاً شــرَّفـتْــهـا

مــواقفُ لَيــثِـهــا البَطَلِ المَهــيبِ

ومـــا فـــقـــدتْكَ في لعبٍ ولَهْـــوٍ

ولا فـــقـــدتْكَ في أمـــرٍ مُـــريبِ

تقـــول لهـــا بطولتُك: اطمـــئنّي

وقَـــرِّي بالفـــتى عَـــيْناً وطيـــبي

لقـد أرضـعْـتِـه عَـزْمــاً وحَـزْمـاً

ووجـــــــدانَ الأبـيِّ مع الحليـبِ

رأتْكَ بقلبــهـــا بطلاً شـــجـــاعـــاً

قـــويَّ العـــزمِ مـــيـــمـــونَ الوُثوبِ

فـأشـــرق وجـهُـهـا فـرحـاً وتـاقتْ

إلى لُقْـــيَـــاكَ في الكَنَفِ الرَّحــيبِ

أُعــــزِّي فـــيك أُمَّك وهـي أدرى

بمعنى الصَّبـر في الوَقْت العَصيبِ

كـــأنّي بـالوســـائد والـزَّرابيْ

على سُـــرُرٍ تُضَـــمَّخُ بـالطُّيُـــوبِ

وحُــوْرُ العِين، قــد هيَّــأْنَ فـيـهـا

مَـقـامـاً للحـبـيـبـةِ والحـبـيبِ

أرى غُـرَفـاً مِن اليـاقـوتِ، فـيـهـا

بدا سِـرٌّ العـجـيـبـةِ والعَـجـيبِ

فـمـا سـمـعَتْ بهـا أُذُنا شَـغُـوفٍ

ولا بَصُــرَتْ بهــا عــينا رَقـيبِ

أخا العَزمَاتِ في الشَّيشانِ، يا مَنْ

ركـبتَ إلى العُــلا أسـمى رُكـوبِ

رحلْتَ عن الحـيـاةِ، فـمـا جـزعنا

برغم الحــزنِ، والدَّمع الصَّـبـيبِ

رضــينا بالقــضــاءِ رِضـا يقينٍ

وتـسـليـمٍ لغـــفَّـــار الذُّنـوبِ

صَبْراً أبا فهدٍ

الباحة - عراء ١٤٢٥/٢/١٤هـ

«مع العزاء الصادق لسمو الأمير سلمان، والدعاء بالرحمة والمغفرة لابنه الفقيد «فهد».

تمضي الحـيـاةُ ويرحل الإنسـانُ

ورجـاؤنا أنْ يُثـمـر الغـفـرانُ

تمضي الحـيـاةُ بحلوها وبمُرِّها

كـسـفـينةٍ يمضي بهـا الطوفـانُ

كـسـحـابةٍ صـيـفـيَّـةٍ مـرَّتْ بنا

عَـجْلَى، ولم تفـرحْ بهـا الأغـصـانُ

كطيـوفِ أحـلامٍ تلاشتْ قـبل أنْ

تسطيع رَسْمَ خطوطهـا الأذهـانُ

كـدوائر الماءِ التي انداحتْ على

عَـجَلٍ، فـمـا لثـبـاتهـا إمكانُ

كالبسمة الصَّفراء في الثَّغر الذي

مِنْ خَلْفِ بسـمـتِـه أسىً ودُخـانُ

كشذا الزهور، يُشَمُّ وهو مسافرٌ

عنَّا، وليس لما يُشَمُّ مكانُ

كخيالِ زائرةِ المنام، إذا صَحَا

طرفٌ، تلاشى حسنُه الفتَّانُ

تمضي الحياةُ، وإنما هي مركبٌ

في موجِ بحرٍ، طبعُه الهَيَجانُ

هو مركبٌ، للرِّيح عنه حكايةٌ

تُروى، وخير رُواتها الحَدَثانُ

تمضي الحياة، فأين مَنْ بذلوا لها

شغَفَ القلوبِ النابضاتِ ولانوا؟

رحلوا؟ نعم، وكأنهم ما قلَّبوا

نظراً، ولا أصغتْ لهم آذانُ

إني لأعلم كيف تُوقَدُ جَمْرةٌ

في القلب، كيف تُذيبه الأشجانُ

إني لأعرف كيف يَعتصر الأسى

قلبَ المحبِّ، وتُشْعَلُ النيرانُ

وأُحسُّ بالأعماقِ حين يُذيبها

أَلَمٌ، ويكشف سرَّها الخَفَقانُ

قلبي يُحسُّ بقلبِ كلِّ مولَّهٍ
تُطوى على حسراته الأزمانُ
فَقْدُ الأحبَّةِ عاصفٌ من حسرةٍ
بهبوبه تتزلزلُ الأركانُ
لا يعصم الإنسانَ من هَبَّاته
إلا يقينُ القلبِ والإيمانُ
فالموتُ سمَّاه الإلهُ مصيبةً
مشهودةً، يُتلى بها القرآنُ
يُدمي القلوبَ ويستثير أنينَها
وبه يحرِّك نارَه البركانُ
لولا اليقينُ، لما أفاد قلوبَنا
صَبْرٌ على البَلْوَى ولا سُلْوَانُ
يا فاقدَ الأحباب صبراً، إنّها
دنيا فناءٍ، طَبْعُها النُّقْصَانُ
لو دامت الدنيا، لما ذاق الرَّدى
حيٌّ، ولا لَمَسَ الثَّرى إنسانُ
ما الموتُ إلاَّ موردٌ لا ينثني
عن حوضه شِيْبٌ ولا شُبَّانُ

هي ساعةٌ كُتِبَتْ فإنْ حانتْ فما

يحمي الفتى أهلٌ ولا إخوانُ

ما الجاهُ، ما الأموالُ، ما الطبُّ الذي

يَشفي، وماذا يصنع الأعوانُ؟

ستصير هذي الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً

تفنى، ويبقى الواحد الديَّانُ

سيموت مَنْ في الأرض، لن يبقى بها

إنسٌ ولا جانٌ ولا حيوانُ

سيموت ـ حتى الموتُ ـ، هذي سنَّةٌ

في الدين منها شاهدٌ وبيانُ

صبراً أبا فهدٍ ففي الصَّبر الرِّضا

والصَّبْرُ في قَيْظ الأسى بُستانُ

عزَّاك من شعري وفاءُ حروفِه

ومودَّةٌ بُنيَتْ بها الأوزانُ

عزَّتْكَ قافيةٌ، على شُرُفاتها

صَدَحَ الوفاءُ، وغرَّد العِرْفانُ

عزَّتْكَ قافيةٌ لها مِنْ مُهجتي

نَبْعٌ، ومِنْ حُسْنِ العَزاءِ لسانُ

هذي حـروفُ الشـعـر صـارتْ كلُّهـا
تدعـو، تقـول: الصَّـبـرَ يا سَلمـانُ
في مَـوْتِ خـيـر الأنبـيـاءِ عـزاؤنا
فلكم تَـخِفُّ بذكـــره الأحــــزانُ
صـبـراً أبا فَـهْـدٍ فـصبـرك دوحـةٌ
بظلالهـــا يتـــفـــيَّـــأ الوجــدانُ
والصبر جسرٌ في محيطِ جراحنا
ونهــاية الجــســـر الطويلِ جِنَانُ
والصـبــر بابُ الأجـر، يكفي أهلَه
أنَّ الذي يجـــزيهم الرحــــمنُ
صــبــراً أبا فـهـدٍ، فـدنيـانا على
جـسـر الرحـيل، صـروفُـهـا ألوانُ
لولا الفناءُ لضــاقت الدنيــا بمَنْ
فـيـهـا، ولم تَسـتـوعبِ الأكـوانُ
لله تصــــريفُ الأمـــور، وعنده
حُكْم القـضــاءِ، وعندنا الإذعــانُ
ندعـو فـتـشـعـر بالصـفـاء قلوبنا
ويشـيـعُ في نبـضـاتهـا اطمـئنانُ

مـفـتـاحُ أبواب النَّجـاةِ جـمـيـعـهـا

قـلـبٌ بـأنـوار الـهُـــــــدى يـزدانُ

يا فـاقـدَ الأحـبـابِ أبشـرْ، إنَّمـا

يُرجَى لهم مِنْ ربنا الغُـــفــرانُ

فـالله أرْحَمُ بالفـتى مِنْ نفـسـِه

وبعـــفـــوه يتـــعلَّق الإنســانُ



هاتف الأستاذ

الرياض ١٢/١٢/١٤٢٠هـ

«بعد أن سألني أحدهم ـ في اتصال هاتفي يوم عيد الأضحى ـ عن هاتف الأستاذ: أحمد فرح عقيلان ـ يرحمه الله ـ ليتصل به، ففاجأني سؤاله وأثار شجوني، كما فاجأه جوابي وأثار شجونه»

يا صباحَ الخير يا أستاذُ أحمدْ

يا صباح الحبِّ والشِّعر المنضَّدْ

يا صباحَ الذكرياتِ الخُضْرِ، إني

لم أزلْ في ظلِّها أرضى وأسعدْ

يا صباحَ الفُلِّ والكادي وورد

كلَّما لامسَه الطَّلُّ تورَّدْ

يا صباحَ البُلْبُلِ الصدَّاح لمَّا

غنَّت الشمسُ له بالنور غرَّدْ

يا صباحَ الخير، لو كان قريباً

مَنْ سرى في زحمة الليلِ وأبعدْ

يا صباحَ الخير، لو كان مجيباً

لندائي، ذلك الشَّهْمُ المُمجَّدْ

أيُّهـا السـائلُ عن هاتف شـيخٍ

دربَّ الشِّعـر على الفصحى وعـوَّدْ

هاتِفُ الأسـتـاذِ للآداب حَـقْلٌ

ولمن يطرق بابَ العلم مَـعْـهَـدْ

لم يكن هاتِفُ أسـتـاذي جـمـاداً

كان دَرْسَاً ـ حينما يُطْلَبُ ـ يُعْقَدْ

كم حـزينٍ هاتَفَ الأسـتـاذ يومـاً

فـانجلى الحـزنُ، وبالصـبـر تزوَّدْ

كـان بالرِّقَّـةِ واللُّطْف يُجَلِّي

همَّ مَنْ يشكو فـيـرتاح ويسـعَـدْ

أيُّهـا السـائلُ، مـا الأسـتـاذُ إلاَّ

خـافقٌ حيٌّ إذا حـدَّث جـوَّدْ

كُلّمـا هاتفـتُـه أشـعـر أني

أملك الدنيـا إذ مـا قال: «أحـمدْ»

كـان لي نِعْمَ الأبُ الغـالي وكنَّا

مِنْ رياض الشِّعـر في صَرْحٍ ممدَّدْ

كم بكى ـ مثلي ـ على الأقصى وعانى

وعلى إشـراقـةِ الماضي تنهَّـدْ

كم سـقـينا الشّـعـرَ حُـبّـاً ووفـاءً

وفـتـحنا بالقـوافي كلَّ مُـوْصَـدْ

لم نُغَـرِّبْ أو نُشَـرِّقْ دونَ وعيٍ

شَـأْنَ مَنْ طاوعَ وَهْـمـاً وتمـرَّدْ

بل رفـعنا هامةَ الفـصحى التزاماً

فكـلانا طـوَّر الـفـنَّ وجـدَّدْ

مِنْ رياض اللُّغة الفـصـحى قطفنا

ثمـراً أحلى من الشَّـهْـد وأجـوَدْ

ودعـونا بعضَ مَنْ تاهتْ خُطاهم

واستـجادوا بالهوى الفكرَ المجمَّدْ

كم بنينا من حروف الشعـر سـدّاً

مُـحكمـاً في وجـهِ مَنْ ضلَّ وألحَـدْ

وزرعنا اللغـة الفـصـحى حـقـولاً

في رُباها يُوْلَدُ الشّـعـرُ ويُنْشَـدْ

لغـة القـرآن، نَبْعٌ من بيـانٍ

كلٌّ مـا فـيـها على الإبداع يشـهَـدْ

ليستِ البـحـرَ، ففي البـحـر أُجاجٌ

وغُـثـاءٌ كلَّمـا أرغى وأزبَدْ

ليـــستِ الأُفْقَ فــإن الأُفْق يشكو
مِنْ غُـبــارٍ ودُخــانٍ يتــصــعَّـدْ
وتظلُّ اللغــةُ الفـصـحـى مَـعـيناً
بصـــفـــاءٍ ونقـــاءٍ تتـــفـــرَّدْ
أيُّهـــا الســـائل عـن هاتفِ شــيخٍ
حبَّبَ الفصحـى إلى الجيلِ وأرشدْ
حـينمـا هاتفـتَني أرسلتَ سـهـمـاً
مِنْ لهــيبٍ أيقظ الجــرحَ وأوْقــدْ
لـم أكنْ أعلـم أنَّ الحـــــزنَ حـيٌّ
كلَّمـــا طافت به الذكـــرى تجـــدَّدْ
يا تُرى، هل وَعَـدَ الصَّـبـرُ فـؤادي
حـينمـا ودَّع شـيـخي، أم توعَّـدْ؟!
هـاتفُ الأســـتـــاذِ أرقـــامٌ تعـــاني
أصــبــحتْ لفظاً بلا مــعنىً يُردَّدْ
آه من أرقـامــه صــارت ســهـامــاً
نَحْــوَ قَلبي بيــدِ الحــزنِ تُسَــدَّدْ
أصـــبــحتْ أصـــواتُهـــا رَجْعَ أنـينٍ
وصـــدىً مِنْ حـــســـراتٍ تتـــوقَّــدْ

لو سـألنا هاتفَ الأسـتـاذِ أدْلَى

بجـوابٍ يشـرح الصَّـدْرَ ويُحْـمَـدْ

وروى عن حـمكةِ الأسـتـاذ شـيـئاً

قَلَّ أنْ يَحْـدُثَ في الناسِ ويُوجَـدْ

أيُّهـا السـائلُ قـد أشـعلتَ جـرحـاً

لَمْلَمَ الصَّـبـرُ بقـاياه وضـمَّـدْ

آهِ لـو تـعـلـم عـن وَقْـعِ سـؤالٍ

أنتَ أطْلَقْتَ به الجـرحَ المقـيَّـدْ

أوَلـم تـعـلـمْ بـأنـا قـد رُزِئْـنـا

قَـبْلَ عـامين، وأنَّ الحـزنَ عَـرْبَدْ

نـحن لـم نجـزعْ، ولـكنَّا حـزنَّا

وسلكنا بالرِّضـا الدَّرْبَ المهـدَّ

وعلمنـا أنَّمـا الدنيـا رحـيلٌ

دائـمٌ، ليس عليـهـا مَنْ يُخلَّدْ

إنَّ في صـورةِ لحـدٍ بعـد مَـهْـدٍ

صـورةً تبـدو لإنسـانٍ مُـمَـدَّدْ

يبــدأ الدنيــا بضــعفٍ ثم يَقْــوى

ثم يرتدُّ إلى الضــعف المؤكَّـــدْ

ثم يغــــدو أثَراً مِنْ بَعْـــد عينٍ

وحكاياتٍ مع الأجــيـــالِ تُسْـــرَدْ



وداع العَلَم

الرياض ٢٨/١/١٤٢٠هـ

مـــا له يبكي بدمـــعي قلمي

أهو مـــثلي يشـــتكي مِنْ ألمي؟!

أهو مـثلي قـد غـدا مُـضطرباً

حـينمـا سَـدَّتْ يَدُ الحـزن فـمي؟

أهو مـــثلي أغـــمض العين على

خـــبـــرٍ هـزَّ بلاد الحَـــرَمِ؟

مـــات شـــيخ العلم يا قـــائلهـــا

أنتَ أشـــعلْتَ لهـــيـــبـــاً في دمـي

مـــات شـــيخ العلم، لو أدركتَ مـــا

صـنـعـتْ فـي قـلـبـي المُـنْـثـلـمِ

لـيـــــتـنـي أسـطيع أنْ أنـكـرهـا

لـيـــتـــهـــا كـــانت بقـــايا حُلُمِ

مَنْ أُعـــزِّي في الأب الغـــالي الذي

واجـــه الدنيـــا بأعلى الهِـــمَمِ؟

أأُعـــــــــزِّي منـهجَ الـلـه الـذي

كــان يُســتــهــدى به في الظُّلَمِ؟

أأُعـــــــــزِّي سـنـةً طـاهـرةً

كــان يرعى هَدْيَهــا في شَــمَمِ؟

أأُعــزِّي فـيــه علمــاً نافـعــاً

وفـــــتــــاوى تُـوِّجتْ بـالحِكَمِ؟

أَم أُعــزِّي فــيــه أيتــامــاً به

وجــــــدوا عَـطْـفَ أبٍ ذي رَحِـمِ؟

أَمْ أُعــزِّي فـيــه مــسكيناً رأى

مـنـه مــــا أَبْـرأه مِنْ سَـــــقَمِ؟

مَنْ أُعـزِّي في الأَب الغــالي الذي

ودَّعَ الـدُّنـيـــــــا وَدَاعَ الـعَـلَـمِ؟؟

ســأُعــزِّي فـيــه مَنْ يُزهر في

دمِـــهِ إحــــســـاسُ قلبِ المسلمِ



كيفَ لَمْ نَحْزَنْ؟!

الرياض ١٠/٢/١٤٢٠هـ

عظيمٌ في مــقــامكَ والرحــيلِ
لأن لديكَ مــيــراثَ الرســولِ

ومَنْ وَرِثَ الهُــدى وَرِثَ المعــالي
وأَوْرَثَهُنَّ جــيــلاً بعــد جــيلِ

أبي وأبا الجــميعِ، مــضــيتَ عنا
كمـا تمضي الشُّموسُ إلى الأُفولِ

وقــد فُضِّلْتَ عنهــا، فــهي تفنى
وتبــقــى أنتَ بالذكــرِ الجــميلِ

مــددْتَ جــســورَ وُدِّكَ لليــتــامى
وللمــســكين والشــاكي العليلِ

ووجَّــــهْتَ الغــنــيَّ إلى عــطاءٍ
ولم تبــخــلْ بنُصْــحِكَ للبــخــيلِ

كــأنك هامــةُ الجــبل ارتفــاعــاً
ومــا قُــبِضَتْ يداه عن السُّــهولِ

لِنَبْـــرَةِ صـــوتكَ البـــازيِّ ســـرٌّ

يؤثِّر في القلوبِ وفي العـــقـــولِ

تُنادي المسلمين إلى ائتـــلافٍ

وتدعـوهم إلى «حِلْفِ الفـضـولِ»

تُبـــشِّـــرهم وتُنْذرهم وتَلوي

أعنتَّـتَـهم عن الفكر الدَّخـيلِ

وتُرشـــدهم إلى كنزٍ عظيمٍ

مِنْ الإســلام والمجـــد الأثيلِ

وكم ذي بِدْعَـــةٍ أغْـضَـيتَ عنه

كـمـا يُغـضي العـزيزُ عن الذَّليلِ

ولم تبـــخلْ عليـــه بقـــولِ حقٍ

وتوجـــيـــهٍ إلى أهدى ســبـيلِ

وفـــرقٌ بين زقُّـــومٍ وشـــوكٍ

وبين ثمـــار أشـــجـــار النَّخـــيلِ

وبين الفـــارس المقـــدام يمضي

بهـــمّـــتـــه، وســـبَّـــاقِ الفُلولِ

وكم مـــســـتـــثـــمـــرٍ مـــالاً وجـــاهاً

يتـــــوق إليك بـالطَّرفِ الكليلِ

رآك وقـد حلَلْتَ مـقـام عـزٍّ
ينافَحُ عنه بالسيفِ الصَّقيلِ
ولم تبـذلْ له إلا ثباتاً
على التقوى ومنهاج الرسولِ
لأنَّك كنت تخشى الله حقاً
وترضى في حياتكَ بالقليلِ
كتابُ اللهِ نورُك في الدَّياجي
وزادُك في المبيتِ وفي المَقِيلِ
عقيدتُكَ التي جعلتْكَ رمزاً
يذكِّرنا بتاريخ الرَّعيلِ
أرى أُمِّي تُخاطبني بدمعٍ
وفي نظرتها أثَرُ الذُّهولِ
أُمَاتَ الشيخُ؟ قلتُ: نعم، ولكنْ
ممَاتَ الصَّاعدينَ بلا نزولِ
مَمَاتَ الزَّاهدين بلا انعزالٍ
عن الدنيا، ولا عزمٍ كَليلِ
وتسألُني ابنتي عمَّا تراءَى
لها، مِنْ ليل حسرتنا الطَّويلِ

فـقلتُ لهـا: ابنُ بازٍ غـاب عنَّا
غـيـابَ المُزْنِ عن روضٍ مُـحـيلِ
حـزنًا، كـيف لم نحـزنْ؟ ولكنْ
أضـأْنا الحـزنَ بالصـبـر الجـميلِ
ورقَّـيْنَا المشـاعـرَ باحـتـسـابٍ
يُقـرِّبهـا مِنْ المولى الجليلِ
ولولا مـا حـمـلْنا مِنْ يقينٍ
لكانَ الصـبـرُ بابَ المسـتـحـيلِ
قـصـائِدُنا تكاد تذوبُ وَجْـداً
وتهـربُ مِنْ تفـاعـيل الخليلِ
تكاد غَـمـامـةُ الأحـزانِ تمحـو
مـلامحَ وَجـهـهـا الحـرِّ الأصـيلِ
نظمناها فـمـا اسطاعتْ ثبـاتاً
أمـام هـجـوم حـسـرتنا المَهُـولِ
وكـدتُ أفـرُّ مِنْ حَـدَبي عليـهـا
وأبـحـثُ فـي رثـائـكَ عـن بَـديلِ
ولكنَّ القـصـائدَ أسـعـفـتني
علـى وَجَلٍ وجـادتْ بالقليلِ

وكم مِنْ شـاعـرٍ كـبُـرَتْ عليـه

مَـواجـعُـه فـهـابَ من الدُّخـولِ

أبي وأبا الجـمـيعِ لنا خـيـولٌ

مِنْ الذِّكـرى مُـمـيَّـزَةٌ الصَّـهـيلِ

نقلنا عنكَ أخـبـاراً حِـسـاناً

وبعضُ الحُـسْنِ يظهَـرُ في النُّقـولِ

رأيتُكَ في سـمـاءِ المجـد فـجـراً

يُسَلْسِلُ نـورَه بين الحـقـولِ

وفـاتُكَ أيقظتْ في الناسِ حِـسّـاً

بأنَّ المجـدَ في الخُلُقِ النَّبـيلِ

وأنَّ المجـدَ في علمٍ صـحـيحٍ

يقـوم على التـثـبُّتِ والدَّليلِ

وأنَّ المجـدَ في فكرٍ مُـضـيءٍ

يُتـوَّج بالرجـوع إلى الأُصـولِ

وأنَّ المجـدَ في رفقٍ ولـينٍ

بلا ضـعفٍ يقـود إلى النُّكولِ

حَسِبْتُكَ مخلصاً ودليلُ قَولي
على الإخلاصِ فَوْزُكَ بالقبولِ
وصلتَ ـ نعم بإذن اللهِ ـ لكنْ
بقينا نحن نطمعُ في الوصولِ



قطرة مسكٍ من دم شهيد

«أبو الزبير المدني وأبو العباس إضاءتان جديدتان في ظلام هذا العصر... مجاهدان من المدينة المنورة استشهدا في «سراييفو» أسأل الله أن يقبلهما في الشهداء.... القصيدة خطاب لأبي الزبير.... وهي خطاب أيضاً لأبي العباس...... فكلّنا هذا وذاك....»

قل مـا تشـاء عن الفـؤاد المتـعَبِ

فـالشـمس عن أحـلامنا لم تغـربِ

ها أنت تحـملني بأجنحـة الهـدى

عَبْرَ الفضاءِ إلى السماء تطير بي

ها أنت تحـملني وتنعش فـرحـتي

بعـد الذبول وبعـد دهرٍ مـجـدبِ

عفواً ـ أخي في الله ـ عين قصيدتي

تـرنو إليك، وحـرفُـهـا لم يُكْتَبِ

أنا مـا رأيتك في خيـال قصيـدتي

لكنـني أبصـرت وجـه الكوكبِ

أنا مـا سـمـعـتك منشـداً لكنني

أصـغـيتُ للأمل الجـمـيل المطربِ

فـرحي كـبـيـر يا أخي بجـهـادكم

لكنَّ حُـزني لم يزل كـالغَـيْـهَبِ

إني غــضــبت لأمــتي لما رمتْ

بزمــامــهــا للظالم المتــصلّبِ

وغــضــبت للإســلام مِنْ أعـدائه

مِـــمَّنْ يُشــاغلنا بمنطق ثعلبِ

وغــضــبتُ للإســلام من أبنائه

مِـمَّنْ يعـيش بطبـعــه المتـقلِّبِ

طوراً يميل إلـى اليـــمين وتارةً

نحـو اليـسـار كـتـائهٍ في سَبْسَبِ

أرأيت ذا عـــقلٍ يتــوق فـــؤادُه

ـ وهو السليم ـ إلى عناق الأجربِ؟!

وغـضبتُ للأقصى يُباع ويُشترى

لا خـيــر في قلبي إذا لم يغـضبِ

وغـضبتُ للبلقـان يُهتك عـرضـهـا

أمـــــسـتْ بـلا أُمٍ تحنُّ ولا أبِ

وغـضــبتُ من مكر العـدوِّ وكـيــده

من وجــه أوروبا القــبــيح المرعبِ

يا وجـــه أوروبا رأيتُك كـــالحــاً

وكـذاك يبـدو وجــه كلِّ مــخــرِّبِ

أنا مـا رأيت ـ وكم رأيت رجالكم ـ

إلا رُؤى نـابٍ وصــــورةَ مِـــخْلَبِ

كم ناطقٍ باسم السـيـاسـة قـد بدا

مـتـأنِّقـاً يُخـفي طبـيـعـة عـقـربِ

أأبا الـزبيـــر، عـــدونا مـــتكالبٌ

يُرضي ســـذاجـتَنا بوعــدٍ خُلَّبِ

أأبا الـزبيــر، فـديتُـهـا من كُنْيَـةٍ

نَقَلَتْ إليَّ رُؤَى الـزمــان المخــصبِ

هـا أنت تحـــملني إليك وأُمَّـــتي

مـــشـــغـــولة بتنـاحــرٍ وتذبذُبِ

لـو أنَّ أمـــتنـا أقـــامت دينهـــا

وتعلَّقتْ بكتـــابهـــا، لم تُغْلَبِ

لـكنهـــا ركـــبتْ طواحـين الهـــوى

فـــاثَّاقَلَتْ للأرض بعـــد توثُّبِ

يا ويحــــهـــا مِنْ أُمَّـــةٍ منكوبةٍ

لولا الجنوح عن الهــدى لم تُنكَبِ

أأبا الزبيــر لقــد رأيت قـصــائدي

تشــقى بآهات الفــؤاد المتــعَبِ

ورأيت في ســاحــات قلبي زهرةً

ذَبُلَتْ، وخيـمـةَ فـرحـةٍ لم تُنْصَبِ

لكننـي أبصـــرت عـــزّةَ أُمَّـــتي

لما رأيتُكَ ثابتـــاً لم تهـــربِ

أأبا الـزبيــر رأيت قلبك قـد هفـا

نحــو الخلود إلى الجــوار الأطيبِ

وخرجتَ من سجن الحياة وبؤسها

مـتـوجـهـاً صَـوْبَ المقـام الأرحبِ

هذي المدينة مــا تزال دمــوعـهـا

حَـيْـرى فلم تَجْـمُـدْ ولم تَتَـصَـبَّبِ

قـــالوا لنـا: إن الثَّــرى لَمَّا رأى

إشــراق وجــهك مــدَّ كفَّ مُــرحِّبِ

وتَضَـوَّعَتْ مِـسكاً رحــاب بطولةٍ

شـهـدتْك مـقـدامـاً عـزيز المركبِ

قـالوا: الشـهـادةُ، قلتُ: نَيْلُ شـهـادةٍ
وبلوغُـهــا في الله، أعظمُ مَطْلَبِ

أكْـرِمْ به مــوتاً يُلاقــيــه الفــتى
بالذكر يَلْهَجُ، والصـلاةِ على النَّبيْ

وإذا تـعـلَّقـت الـقـلـوب بـربِّهــــا
فلسـوف يغـدو الموتُ أعظمَ مـوكبِ



كنوز الأجر

الباحة - عراء ١٤٢٣/٥/١٣هـ

«مع حُسْن العزاء إلى سلمان بن عبد العزيز في وفاة ابنه أحمد يرحمه الله».

أَدِرْها ـ أبا فَهْدٍ ـ على خيرِ ما يجري

لمثلك مِنْ صِدْقِ احتسابٍ ومن صَبْرِ

أدِرْ ذكرياتِ اليومِ والأمسِ، مثلما

يُدارَ شَذَا التَّسبيح في حِلَقِ الذِّكْرِ

أَدِرْها على الصَّبرِ الجميلِ فإنَّه

يُسَكِّن مِنْ أحزاننا وَهَجَ الجَمَرِ

ألا أحسنَ اللهُ العزاءَ لفاقدٍ

حبيباً، مَحَاه الموتُ من صفحةِ العُمْرِ

وجمَّل بالإيمانِ والصَّبرِ والدأ

رأى ليلةَ الحزنِ الطويلةَ كالشَّهرِ

وما هانَ فُقدانُ البنينَ على أبٍ

وكيف تهونُ الشمسُ في نظر الفَجْرِ؟

وكـيف يَهـون الغـصنُ عند جـذوره

وكيف يهون العطر في نظر الزَّهْرِ؟

نعم، نحن أَدْرَى أنَّ للفَـقْـدِ لوعـةً

وأنَّ فـراقَ الابنِ قـاصـمـةُ الظَّهْـرِ

وأنَّ الأسـى يقــســو، ولكنّنا إذا

رأينـا ظلامَ الليل يَهْــزَأُ بالبــدرِ

لجــأنا إلى المولى الكريمِ لأنَّه

مَلاَذُ قلوبِ النَّاسِ في لحْظَةِ الذُّعْرِ

ألاَ يا أبا فَـهْـدٍ تصـبَّـرْ، فـإنما

نُخَـفِّفُ نيـرانَ المَواجعِ بالصَّـبْـرِ

مضى نِجْلُكَ الثاني فأبشرْ برحمةٍ

تُريك مقامَ الصَّبْرِ في ساحةِ الحَشْرِ

كـأني بمصـراعينِ للشُّكر أُشْـرِعـا

أمـامَك فادخُلْ منهما رَوْضَةَ الشُّكرِ

وسـبِّح بحـمـد الله واذكرْ نعـيمَـه

وقل: إِنني أسلَمْتُ يا خـالقي أمـري

سـتلقـاه غـفَّـاراً رؤوفـاً بخلقـه

رحيماً إذا ما الحزنُ جار على الصَّدْرِ

عَـزَاءُ جمـيع الناس فـي الموتِ، أنهَّم

يسيـرون سَيْرَ الخـاضعين إلى القَبْرِ

ومـا الكونُ إلاَّ كـالكتـابِ، سُطورُه

ستُمحى بأمر اللهِ، سطراً على سطرِ

وما نحن في الدنيا سوى أهلِ رحلةٍ

مـراكـبُنا فـيـهـا بأعـمـارنا تَسْـري

رسَـمْنا خُطانا في طريقٍ قـصيـرةٍ

تَجلُّ خُطا الماضينَ فيها عن الحَصْرِ

ومـا هذه الدنيـا سـوى جِسْرِ عـابرٍ

فهل نبتغي أنْ نستقرَّ على الجسـرِ

تميَّـزَتْ الدنيـا بنَقْصِ كـمـالهـا

ولو كمُلَتْ للناسِ دامتْ مَدَى الدَّهْرِ

طبـيـعـةُ دنيـانا تقلُّبُ حـالهـا

على كلِّ ما نلقى من العُسْرِ واليُسْرِ

وإيمـانُـنـا بـاللـه إيمـانُ أَنْـفُـسٍ

يُلاقي رضاها محنةَ الخيـر والشَّرِّ

رضينا بما يقضي من البؤسِ، مثلما

رضينا بما يقضـي من الأُنْس والبِشْرِ

رضـينا بما يقـضي الإله وإنْ شَكَا

فـؤادٌ، وإنْ صـارتْ مـدامـعُنا تجـري

أتينا إلى الدنيـا بأمـر إلهنا

ونخـرجُ منها ـ حين نخـرجُ ـ بالأمْـرِ

إليكَ ـ أبا فـهـدٍ ـ عـزاءً تزفُّـه

على صَـهَوات النُّور قـافيـةُ الشِّـعـرِ

كـأني بصـوتٍ مُـفْـعَمٍ بحنانه

يقـول لنا مـا قـالَه الغَـيْثُ للزَّهْـر:

ألا أيُّهـا الإنسـانُ بُشـراكَ، إنَّمـا

مـصـائبُك الكُبْـرَى كنوزٌ من الأجْـرِ



التوقيع الأخير

الباحة - عراء ١٤٢٣/٥/١٧هـ

قصة وفاة «سلطان بن فيصل بن تركي» - يرحمه الله - صورةٌ من صور القضاء والقدر الذي يكون الإيمان به ركناً من أركان الإيمان ... ينطلق الرجل بَرّاً من جدَّة إلى الرياض للمشاركة في تشييع جنازة «أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز - يرحمه الله -» ينطلق برّاً مع أنَّ مطار جدَّة على مَرْمَى قوسٍ منه... لماذا؟ إنه القضاء الإلهي الذي لا يصل إليه علمنا،... هذه القصَّة أشعلت في قلبي جَذْوة الشعر فكانت هذه القصيدة، مع العزاء الصادق إلى أهل «سلطان بن فيصل بن تركي» جميعاً.

دعوني أَشقُّ الأرضَ أو أمتطي السُّحْبَا

لأطويَ في نَيْلِ الذي أبتغي الدَّرْبَا

أفيضوا على سيَّارتي وَصْفَ طائرٍ

يُجاوِزُ مِنْ هَوْلِ انطلاقته السِّرْبا

وَثِقْتُ بها، إني أراها جديرةً

بأنْ تَنْهَبَ الدَّرْبَ الطويلَ بنا نَهْبا

فـسـبـحـانَ ربِّ الكون سـخَّـرها لنا

وسـبـحـان ربِّ الكونِ ذلَّلهـا رَكْـبَـا

سأطوي بهـا البَيْـدَاءَ، أُدني بهـا المَدَى

وأضـربُ هذا الأسـودَ المُلْتـوي ضَـرْبا

سـتـعلم «حَـوْمـيَّـاتُ» نجـدٍ بأنني

أنا المُدْلِجُ السَّـاري إذا مـا دُعي هبَّـا

وداعـاً - حـبـيـبيَّ الصـغـيـرين - إنني

أرى روضـةً فـاضت بسـاتينُهـا خِصْبَا

ولا تـقلـقي يـا أمَّ فـيـصـلَ، إنـني

سأطوي لتشييع الصديق المَدَى الرَّحْبا

أرى الأُفُقَ الشـرقيَّ مَـدَّ ذراعَـه

وقـدَّم غُـصْناً من مـشـاتله رَطْبَـا

سـمـعتُ نداءَ الواجب الحقِّ، إنـني

كـريمٌ إذا ناداه واجـبُـه لـبَّى

أريـد وصـولاً لـلـريـاضِ، لـعلَّـني

أودِّع فـيـهـا راحـلاً من ذَوي القُـرْبَى

سـأَلْتـحِفُ الليلَ البـهـيمَ لأَنَّه

جـديرٌ بأنْ يُضفي على بُعْدِنا قُـرْبَا

سـأطويه طيَّ المُدْلجين إذا سَـرَوا

خفافاً، ولم يُرْخُوا على نَوْمهم هُدْبا

مـضيتُ وكان الليل أَسْوَدَ فاحماً

كأني أرى وحشاً على أرضنا انكبَّا

رأيتُ محيطاً مظلماً ثار موجُه

تدفَّق من كل المنافـذِ وانصـبَّا

كأني بهذا الليل قَدْ صار حائطاً

طويلاً أمامي، ما رأيتُ له نَقْبَا

سَـرَيْتُ على متنِ الهـواءِ وربما

تحوَّل سَيْرُ المَرْءِ من حرصِهِ وَثْبَا

لقد حان وقتُ الفجر يا «ظَلّمُ»، ها هُنا

أؤدِّي صلاةَ الفجر أستغفر الربَّا

سـأصـرف عن ذهني هنا كلَّ خاطرٍ

يثير شجونَ النَّفس أو يبعث الكَرْبا

صلاةٌ، بها تسمو النفوس وترتقي
وتفتح أبوابَ الصفاءِ لمن لَبَّى
لماذا أرى سيَّارتي تستفزُّني
وتُشعرني أني أسيرُ بها غَصْبَا؟!
أسيرُ بها شرقاً، وأحسب أنَّها
تسير - من استبطاءِ نفسي لها - غَرْبا
لماذا يطول الدَّرْبُ حتى كأنني
أخوض بحاراً فيه، أمواجُها غَضْبَى؟!
لماذا يكاد القلب يقفز لَهْفَةً
أحُزْناً على مَنْ فارق الأهل والصَّحْبَا؟!
شعورٌ غريبٌ ما شَعَرْتُ بمثله
يلامس مني الرُّوحَ يَسْتَنْبِضُ القلبا
لماذا أرى في هَدْأَةِ الليل ضجَّةً
وأبصر طفليَّ الحبيبين قد شبَّا؟!
لماذا أرى أهلي هنا يرمقونني
بأَعْيُنِ عَطْفٍ زادني عطفُها حُبَّا؟!

لماذا أرى الصـحـراءَ صـارت خـمـيلةً

تُنسِّق من حـولي حـدائقَـهـا الغُلْبَـا؟!

لمـاذا أُحسُّ الآن أنـي مـــفـــارقٌ

وأشــعـــر أنَّ الحـــزنَ يُعلنهـــا حـــربا؟!

وأسـمع صـوتاً هامـسـاً يبـعث الشَّجَا

ويسكب في سـمـعي مناجـاتِه سَكْبَـا:

يـردِّد يا سـلطانُ أهلاً ومـــرحـــبـــاً

فـإني أرى في «العَـوْدِ» آلتَكَ الحَـدْبَا

هنا يعلن الإنسـانُ في الأرض عَـجْـزَه

ويُصبح سَهْلُ الأمـر في ذهنه صَعْـبـا

لقــد كـتب المولى هنا يا ابن فـيـصلٍ

وإنَّ كـتـاب الله لا يُشــبـــه الكُتْـبَـا

قـضى ثم أمـضى مـا يشـاء وإنَّمـا

يناشـده الوجـدانُ أنْ يغـفـر الذَّنْبـا

عـزائي إلى مَنْ ودَّعَـتْكَ دمـوعـهم

ورُبَّ عــزاءٍ صــادقٍ هوَّن الخَطْبَـا

أقــول لـهم: صَــبْــراً، فــإنَّ فــقــيــدَكم

قـضى - بعـد أن أدَّى عـبـادتَه - نَحْبَـا

إذا وقَّع الإنســانُ آخــرَ صــفــحــةٍ

من العـمـر بالتقـوى فبـاركْ له الكَسْبَا




الفهرس


د. عبد الرحمن صالح العشماوي
ديوان
قوافلُ الراحلين
العبيكان
Obeikan
9789960542546